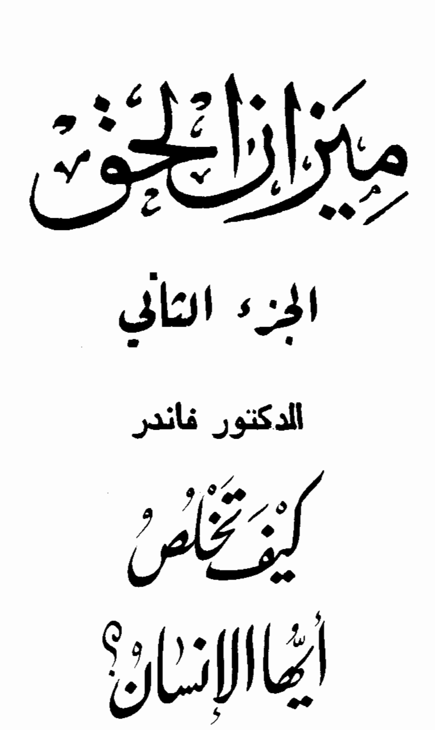


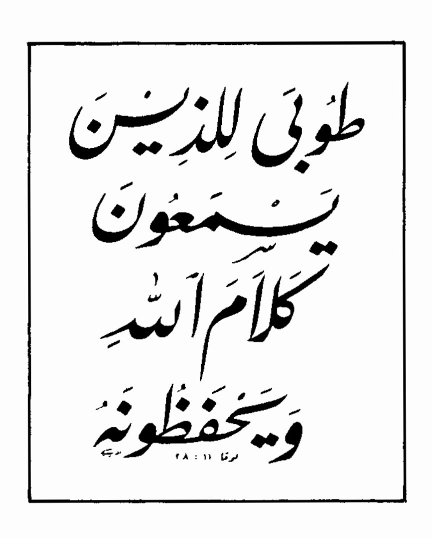
ميزان الحق

الجزء الثاني

الدكتور فاندر

كيف تخلص أيها الإنسان؟

GOOD WAY · RIKON/SWITZERLAND



RB 4430 A

THE GOOD WAY · P.O. BOX 66 دار الهداية
CH-8486 RIKON (SUISSE)

الباب الثاني

الغرض من هذا الباب ان نبين تعاليم الكتاب المقدس الاساسية وان نبين ايضاً ان هذه التعاليم توافق الشروط الضرورية للوحي الحقيقي كما بينا ذلك في مقدمتنا

—*—

الفصل الاول

بيان مختصر لمشتملات التوراة

يتألف الكتاب المقدس من قسمين اسفار العهد القديم واسفار العهد الجديد ويطلق على القسم الاول اسم التوراة والاخير اسم الانجيل. وذلك لان القسم الاول يبتدئ بشريعة موسى والثاني يبتدئ بالانجيل اي البشائر الاربع .

وكنا قد بينا في ما تقدم ان اليهود قسموا اسفار العهد القديم الى ثلاثة اقسام رئيسية التوراة (الشريعة) والانبياء والصحف وتسمى الاخيرة بالمزامير لانه يبتدئ بها. وكتبت اسفار العهد القديم جميعها باللغة العبرانية ما عدا اصحاحات قليلة فانها كتبت بالآرامية. اما اسفار العهد الجديد فلغتها الاصلية اليونانية وحفظت اليهود توراتها باللغة

الاصلية بكل دقة وعناية الى الوقت الحاضر واخذتها عنهم النصارى من بدء تاريخ الديانة المسيحية بامر المسيح نفسه (متى ٥:١٧ و٢١:٤٢ و٢٦:٥٤ ومرقس ١٢:٢٤ ولوقا ٢٤:٢٧ و٤٥ ويوحنا ٥:٣٩ الخ الخ) ولهذا فاسفار التوراة التي نستعملها اليوم هي ذات الاسفار التي كانت بايدي اليهود في بلاد فلسطين في عصر المسيح وفي كل مكان وزمان.

يتضمن العهد القديم الوحي الالهي الذي كتبه الانبياء والمرسلون الى زمن المسيح واكثر الاسفار متوجة باسماء كتبتها ما عدا القليل منها فانه يعرف كاتبوها من التقاليد القديمة ومع ذلك فان شهادة المسيح لها وتصديقه عليها كما صرح القرآن لا يدع سبيلاً للارتياب فيها. وقد قسم العهد القديم في العصور السالفة الى اثنين وعشرين سفراً على عدد حروف الهجاء العبرانية وتقسم في الوقت الحاضر الى اربعة وعشرين سفراً بفصل راعوث عن سفر القضاة وفصل مراثي ارميا عن سفر نبوته واعتبارهما سفرين كلٌ على حدته. وقد جرت عادة اكثرهم ان يقسموا هذه الاسفار كل سفر الى سفرين اول وثان وهي صموئيل والملوك واخبار الايام ويقسم سفر الانبياء الاثني عشر الى اثني عشر سفراً صغيراً فبلغت الاسفار بموجب هذا التقسيم الاخير تسعة وثلاثين سفراً وهو التقسيم الذي اعتمد عليه المسيحيون واظن ان

مسألة التقسيم لا يعلق عليها احد كبير اهمية مثل ما يكون لها مساس بالمتن الاصلي كما قد يتصور الاغبياء

فتوراة موسى اواسفار شريعة موسى خمسة التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية. في هذه الاسفار مدون تاريخ خلق العالم والانسان وكيف عصى آدم ربه وسقط في الخطية وجلب الموت على نفسه وكيف ان الله الكلي الرحمة والجود وعد ان يرسل مخلصاً الى العالم يولد من نسل المرأة (سفر التكوين ٣: ١٥) ولما توغل العالم في المعاصي والفجور وكل ضروب الشدة والقساوة اهلك الله بني آدم اجمعين ما عدا نوح واهل بيته. الا انه من بعد الطوفان عادت ذرية نوح الى فعل الشر وسقطت في عبادة الاوثان بالتدريج الى ان لم يبق بينهم من يعبد الاله الحق الا ابرهيم فاختاره الله واتخذه خليلاً لاجل انه آمن به. وعند ذلك وعده بان المخلص الآتي يتناسل من ابنه اسحق وكان لاسحق ابنان اصطفى الله منهما يعقوب وسماه اسرائيل وجدد معه عهده ووعده الذي وعد به ابرهيم وهو ان بنسله تتبارك جميع امم الارض. وفي سبيل انجاز ذلك الوعد الكريم ارسل الله الانبياء من ذريته دون الشعوب الاخرى كما يعترف بذلك القرآن «ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة» (سورة الجاثية ١٥) وذلك حتى

تكون نبواتهم فصل الخطاب في تعريف المخلص الآتي وتقديمه للعالم.

وكانت الحالة تقتضي قبل انجاز الوعد ان يتدرب بنو اسرائيل على الشؤون الدينية ويتخرجوا فيها حتى يصلحوا ان يكونوا فيما بعد اساتذة المسكونة وكذا قضت التدبيرات الالهية وكانت الخطوة الاولى ان نزل الاسباط الى مصر وهم نفر قليل فما مضى عليهم اربعمائة سنة حتى صاروا شعباً عظيماً يعد بمئات الالوف فخشي فراعنة مصر عاقبة نموهم السريع واتخذوا الوسائل الى ابادتهم وسخروهم في الاعمال الصعبة المضنية للجسم فاخرجهم الله على يد موسى سنة ١٣٢٠ ق. م أو سنة ١٣١٤ بموجب الحساب اليهودي واظهر لهم الله مجده على جبل سيناء وأسلم اليهم الوصايا العشر وغيرها مما هو مدون في التوراة. ومن ضمن غايات شريعة موسى انارة اذهان الشعب ليفقهوا موضوعاً جليل الاهمية كان مجهولاً في ذلك العصر ولا يزال مجهولاً الى وقتنا الحاضر عند الجانب الاعظم من سكان المعمور ولا يعرفه الا اليهود والنصارى الا وهو قداسة الله. ومن غايات الشريعة ايضاً فرز اليهود عن الامم واعتزالهم عنهم في كل شؤون الدين والدنيا وكانت الحكمة في ذلك الاحتفاظ على الاعلانات الالهية من ان يشوبها شيء من رجاسات الامم وعاداتهم فيختلط الحق بالباطل فاقتضت الحكمة الالهية اعتزال

امة اسرائيل لتبقى شرائعهم على حدتها الى ان يأتي المسيح روح النبوة والشرع وخلاصة الوعود والعهود وحينئذ لا تكون ضرورة لبقاء الحجاب الحاضر بين اليهود والامم بل يجب ازالته لانه يكون قد جاء مشتهى كل الامم الذي له تخضع شعوب الارض .

وبعد ان انقضت اربعون سنة على بني اسرائيل بين حط وترحال في برية سيناء المعروفة اليوم بارض التيه ادخلهم ارض كنعان او ارض الميعاد وفي القرآن الارض المقدسة التي كتبها الله لهم وفي سفر يشوع ذكر فتح بني اسرائيل لارض كنعان وابادة كثير من شعوبها الوثنية جزاء لهم على توغلهم في كل معصية من ذلك انهم كانوا يحرقون اطفالهم ضحايا لاوثانهم وينغمسون في الفسق والفجور تكريماً لمعبوداتهم المشهورة بتلك القبائح اما شعب اسرائيل فقد ملكوا الارض انجازاً لوعده تعالى الى خليله ابرهيم .

وفي سفر القضاة وراعوث وسفري صموئيل والملوك واخبار الايام نجد تاريخ الوقائع الرئيسية التي وقعت لشعب اسرائيل من ذلك الحين الى السبي البابلي . وحدث مراراً كثيرة في غضون المدة التي اقاموها في ارض كنعان ان سقطوا في وثنية بقايا الشعوب الاصليين فجازى الله شعبه بان سلط عليهم الوثنيين فقهروهم وكدروا صفو حياتهم

الا انه كلما تابوا اليه ورجعوا الى عبادته تعالى نصرهم على اعدائهم نصراً باهراً على ايدي افراد اصطفاهم من بنيهم .

وبعد انتهاء حكم ملكهم الاول المدعو شاول وفي القرآن طالوت (بقرة آية ٢٤٨) مسح الله داود ملكاً عليهم وكان ذلك حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م وخلفه ابنه سليمان وحكم من سنة ٩٨٠ الى سنة ٩٣٨ ق.م وبعد نهاية حكمه ثار على خلفه رحبعام عشرة اسباط وخرجوا من طاعته وشيدوا لهم مملكة برأسها هي مملكة اسرائيل وملكوا عليهم يربعام بن نباط وبقي السبطان على ولائهم لبيت داود وشيدوا مملكة اخرى هي مملكة يهوذا ولم تلبث مملكة اسرائيل حتى سقطت في العبادة الوثنية وبعد قليل اقتفت آثارها يهوذا. فدفعهم الله الى ايدي اعدائهم وقاصّهم هذه المرة قصاصاً اشد صرامة من القصاصات التي الفوها وبدأ بقصاص مملكة اسرائيل ليعطي يهوذا فرصة للاعتبار والتوبة فسلط عليها الاشوريين فغزوها واسروها في فارس ومديان سنة ٧٣٠ ق. م والى هنا انقرضت مملكة اسرائيل اما يهوذا فما اعتبرت بما دهم اختها من شديد العقوبة بل سارت على منهاجها الى ان خضعت لملوك بابل سنة ٦٠٦ ق.م وظلت تحت نيرهم سبعين سنة اي الى سنة ٥٣٦ ق.م وفي سنة ٥٨٧ هدم بختنصر ملك بابل هيكل سليمان واسر رؤساءهم الى بابل.

وفي سفر عزرا تفصيل رجوع اليهود الى ارضهم وذلك انه لما انقضت عليهم سبعون سنة العبودية التي تنبأ عنها ارميا النبي انقذهم الله بان حول قلب كورش ملك فارس بعد ما انضمت بابل وكثير من الاراضي تحت سلطانه الى العطف عليهم ومؤاساتهم فرخص لهم ان يرجعوا الى بلادهم وتتلو ذلك قصة تجديد الهيكل وترميم اورشليم كما هي مشروحة في سفري عزرا ونحميا

ولكن لما رفض اليهود المخلص الموعودين به هم وآباؤهم تنبأ عليهم المسيح كما ذكر تلاميذه بعقاب هائل لم يروا مثله في تاريخهم السالف وهو قلب مدينتهم المحبوبة وهيكلهم العظيم رأساً على عقب. واتماماً لهذه النبوة ونبوات موسى خرب الرومان مدينتهم وهيكلهم سنة ٧٠ م ومن ذلك الوقت الى الآن تفرقوا في الارض طولاً وعرضاً بلا بلاد ولا ملك وكابدوا من الضيقات ولا زالوا يكابدون ما ليس له مثيل

وعلى ما تقدم يمكننا ان نلخص من التوراة ان مقصد الله في معاملته بني اسرائيل هذه المعاملة وتسجيل وقائعهم وتواريخهم الهامة بين اسفار الوحي ثلاثة اشياء (الاول) ان يظهر لهم ولاهل العصور المقبلة ان القلب البشري مائل الى العصيان والتمرد بالرغم عن نعم الله

وبركاته وهدايته المتوالية بواسطة ارسال الرسل والانبياء جيلاً بعد جيل معلمين ومنذرين وكل ذلك لم يمنع الانسان من المروق عن عبادة الله الحي ولي نعمته وخالقه الى عبادة الاصنام البكم (الثاني) لكي يعلم بني اسرائيل ان العتق من نير الخطية وسلطان الشهوات الجسدية لا يمكن ان ينتج عفواً عن مجرد معرفة وصايا الله ولا عن الاحتفاظ على الرسوم والطقوس الدينية بل لابد من عامل قوي عسى أن تتولد فيهم احساسات الشوق الى المخلص الموعودين به في توراة موسى واسفار الانبياء بالتدريج ويشعرون بشديد الحاجة اليه (الثالث) حتى يطلع الامم جيلاً فجيلاً على معاملة الله لبني اسرائيل واعلاناته السامية لهم عن قداسته وعدله ورحمته اما عدله فبواسطة ما اوقعه عليهم من القصاص الصارم على خطاياهم واما رحمته فبواسطة ما احسن اليهم وبارك فيهم وغفر لهم الى غير ذلك لكي يتخذوا لانفسهم عبرة من ذلك ويعلموا ان اصنامهم لا شيء وان اله اسرائيل الاله الحق خالق السموات والارض ويعبدونه ويخدمونه ويستنيرون بنور انجيل الخلاص يسوع المسيح مخلص العالم الذي اخبرت عنه التوراة الى ان حصرت نسبه في ذرية داود وعينت مولده في بيت لحم بارض يهوذا وعدا الاسفار التي ذكرناها في بيان تاريخ اسرائيل حسبما تقدم

يوجد اسفار اخرى تشتمل على تعليمات في تمييز ما هو مرضي ومقبول عند الله كما وانها تشتمل ايضاً على صلوات وتسابيح وشكر لله العلي العظيم ونبوات عن حوادث المستقبل تم منها الى اليوم عدد عديد ومن هذه الاسفار سفر ايوب والمزامير والامثال واشعياء وارمياء وحزقيال ودانيال والاثني عشر سفراً الصغيرة. وكل من هؤلاء الانبياء ولو انه كتب سفره لاهل عصره من بني اسرائيل محذراً ومعلماً الا انه من الجهة الاخرى قصد اعداد العصور المستقبلة لقبول مخلص العالم الذي نبه بمجيئه ذات الله عز وجل ابرهيم خليله واسحق ويعقوب وموسى.

فمن هذه الاسفار كان ممكناً لخائفي الله واتقيائه من بني اسرائيل ان يعرفوا النقط الرئيسية في وصف المخلص مثل ان يعرفوا وقت مجيئه والبلدة التي يولد فيها ونسبه وسبطه واخلاقه ولاهوته واعمال رحمته واحسانه والآلام التي كانت تنتظره في سبيل خلاص العالم من اتضاع وهوان وآلام وصلب وموت وقبر وانه سيقوم بدون ان يلحق جسده فساد وان يعرفوا طبيعة ذلك الخلاص العظيم الذي جاء ليهبه للعالم .

هذا واعلم ان الاسفار المقدسة من اولها الى آخرها تعلم وحدانية الله وجوهر ايمان اليهود قائم على هذه الآية الذهبية «اسمع يا اسرائيل

الرب الهنا رب واحد» تث٦:٤ وايد المسيح هذا الايمان وانزله المنزلة الاولى (انظر مرقس ١٢:٢٩) الا انه لاجل استثمار هذه العقيدة الجوهرية وتشخيصها في اعمالنا وسيرتنا اليومية اقتضت الضرورة ان يعلن الله نفسه للجنسِ البشري بحالة يمكن معها ان يكون معروفاً ومحبوباً. والا فمجرد معرفة وحدانية الله لا تقدم ولا تؤخر في حياة الفضيلة ولا تختلف عن عقائد بعضهم بوحدة الوجود وان ابليس يعرف ان الله واحد وهو كما هو غني عن البيان أخس واخبث من بني آدم وهو يوحده . ولكن لا يحبه (رسالة يعقوب ٢:١٩) .

وعلى ما تقدم وتحقيقاً لنبوات الكتاب عندما آن الاوان جاء من هو وحده كلمة الله (الانجيل بشارة يوحنا ١:١) ليعلن الله لنا ويهب حياة ابديه لكل من يؤمن به ايماناً حقيقياً على وفق نطقه الكريم (يوحنا ١٧:٣) .

غير ان جمهور اليهود عثروا في المسيح عند مجيئه بسبب انهم كانوا قوماً عالميين في اذهانهم واميالهم فلم تكن تهمهم مسألة الخلاص من الخطية بل حصروا اهتمامهم وهوى قلوبهم في مخاص يخاصهم من نير السلطة الرومانية ولم يهمهم ان يكونوا اغنياء في الايمان وسلام الله بل همهم ان يكونوا حكاماً وولاة يسودون على البلاد والعباد ويغنمون

الغنائم ويملأون الخزائن ذهباً وفضة اسوة بدولة الرومان والفرس فمن كانت هـذه مطامعهم وآمالهم فلا عجب ان تغمض ابصارهم وتعمى قلوبهم عن نبوات الانبياء الصريحة المشيرة الى المسيح كمخلص من الخطية يأتي الى الارض مجرداً عن زخارف العالم خالياً من ابهة الملك وجلال السلطان محتقراً مخذولاً من الناس لا يصيح ولا يسمع احد في الشوارع صوته ولكنه يعصب القلوب المنكسرة ويعتق اسرى ابليس والخطية .

فلم يمنع الناس في الماضي والحاضر عن قبول المسيح عدم الدليل ولا غموض النبوات عن الاشارة اليه بل تمنعهم محبة العالم وخلوهم من محبة الله والديانة الروحية.اما ذوي العقول الروحية بين اليهود فقد عرفوا وآمنوا به وتبعوه وبعد صعوده الى السماء تفرقوا في اطراف المسكونة يشيعون بين الامم اخبار مخلصهم المحبوب كما امرهم .

وكتب الانجيل رسل المسيح (الحواريون) وتلامذتهم بالهام الروح القدس الذي وعد المسيح ان يرسله على اثر صعوده ويتضمن الانجيل اخباراً عن تعليم المسيح ومعجزاته وتطبيق شخصه المبارك وصفاته ووقائعه على نبوات العهد القديم بشأن المسيا المنتظر ويتضمن شرح طريق الخلاص بما مضمونه ان المسيح مات على الصليب ليقدم

نفسه كفارة عن خطايا العالم وانه قام في اليوم الثالث ومكث على الارض بعدقيامته اربعين يوماً يتردد في غضونها على تلاميذه يعلمهم ويشرح لهم الكتب ويمكنهم من مشاهدته ولمسه ليؤدوا للعالم عنه شهادة عين.وفي ختام المدة قلدهم مهمة الرسالة التبشيرية الى كل الخليقة في كل الارض وامرهم قبل الشروع في الخدمة ان يمكثوا في اورشليم حتى يلبسوا قوة من الاعالي بمعنى ان يحل عليهم الروح القدس ليقدرهم ويذكرهم ويلهب قلوبهم شوقاً وغيرة ليؤدوا عنه الشهادة الى اقصاء الارض.ثم صعد الى السماء امام عيونهم تاركاً لهم الوعد برجوعه ثانية وظلوا يودعونه بابصارهم حتى حجبه عنهم سحاب السماء وعند ذلك ظهر لهم ملاكان من السماء واخبراهم انه سيأتي هكذا كما رأوه منطلقاً الى السماء على وفق سابق وعده لهم (يوحنا ١٤:٣ واعمال ١:٩—١١) .

واعلم ان كثيراً من اقوال المسيح واعماله دونها تلاميذه في زمن حياته على الارض ولما صعد الى السماء اخذوا يبشرون بالانجيل شفاهياً ثم كتبوها فيما بعد في اربع بشائر معنونة هكذا انجيل المسيح كما كتبه متى وكما كتبه مرقس ولوقا ويوحنا وتمت هذه البشائر قبل ختام القرن الاول للميلاد.ومن بين البشيرين الاربعة رسولان وهما متى ويوحنا اما

مرقس فهو تلميذ بطرس الرسول وكتب انجيل المسيح كما اخذه عن معامه وعن آخرين وعدا ذلك نجد في بشارته فصولاً يجب ان تكون قد كتبت قبل صعود المسيح.واما لوقا فهو زميل وتلميذ بولس الرسول كتب في بشارته الامور المتيقنة لا عند واحد بل عند كثيرين من الذين عاينوا الوقائع والاخبار التي كتبها (انظر بشارة لوقا ١:١—٤) .

ولنا في رسالتي بطرس ورسالة يعقوب ويهوذا الحقائق التي دونها عن المسيح خاصة تلاميذه وكذا كتب يوحنا اعز صديق واحب تلميذ للمسيح ثلاث رسائل وكتب بولس جملة رسائل منها رسالتي تسالونيكي كتبهما اولاً حوالي السنة الثانية والثالثةوالعشرين بعدالصعود يشرح فيهما طريق الخلاص بيسوع المسيح وماذا يترتب على دعوتهم المقدسة من الواجبات المرضية لله.ووردفي الرسالةالاولى لاهل (كورنثوس ١٥ :٣و٤)ما اقتبسه المسيحيون الاولون في اقدم صيغة من قانون ايمانهم «ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب وانهدفن وانه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» ومن هنا يتبين لنا ان اقدم المسيحيين اعتقدوا ان جوهر الكتب اي اسفار العهد القديم والجديد انما هو الكفارة التي قدمها المسيح عن خطايانا

بموته على الصليب وقبول تلك الكفارة عند الله بدليل انه اقامه من الاموات. ومن جملة اسفار العهد الجديد سفر اعمال الرسل وفيه خبر حلول الروح القدس وهو (الفارقليط) بعدالصعود بعشرة ايام وكيفية شروع الرسل في تبشير الامم. والرسالة الى العبرانيين وفيها شرح العلاقة بين شريعة موسى وانجيل المسيح. وسفر الرؤيا ويتضمن نبوة الجهاد الذي سيقع بين الكنيسة والعالم وانتصار الكنيسة اخيراً (وفي اصحاح ٩ منه مسائل يهم المسلمين الاطلاع عليها) والحاصل ان هذا السفر يشرح لنا كثيراً من الوسائل التي يتخذها الشيطان لتجريب المسيحيين وتعذيبهم على رجاء ان يفصلهم عن مخلصهم واهم هذه الوسائل ظهور المسيح الدجال الذي يبذل عنايته في مقاومة الخلاص الذي بالنعمة. اما المسيحيون الحقيقيون فيخرجون من اتون التجارب كالذهب المحص. وآخر الكل يأتي المسيح على سحاب السماء بقوة ومجد عظيم ليؤسس في الارض الجديدة والسماء الجديدة ملكوته الدائم «ولن يدخلها شيءٌ دنس ولا مايصنع رجساً وكذباً الا المكتوبين في سفر حياة الخروف» (سفر الرؤيا ٢١:٢٧) .

وبالاجمال تتفق اسفار العهد الجديد مع اسفار العهد القديم في تعيين طريق الخلاص الذي به تتبارك كل الامم (تكوين ٢٨:١٤) ألا

وهو الايمان بنسل المرأة الموعود به (تكوين ٣:١٥) الذي ولد من العذراء مريم (بشارة لوقا ١:٧ و١٦ وانظر القرآن سورة الانبياء آية ٩١ وسورة التحريم آية ١٢) ليخلص شعبه من خطاياهم (بشارة متى ١:٢١) الذي بذل حياته فدية عن كثيرين (سفر اشعياء ٥٣:١٠ و١١ وبشارة متى ٢٠:٢٨) وقام لاجل تبريرنا (سفر المزامير ١٦:٩—١١ وسفر الاعمال ٢:٢٢—٣٦ ورسالة رومية ٤:٢٥) والذي به وحده يقدر الانسان ان يبلغ الى معرفة الله الحقيقية (بشارة يوحنا ١٤:٦) وينال الخلاص الابدي (سفر الاعمال ٤:١٢) .

ومن هذا نعلم ان الوعد الذي وعد به الله منذ الوف من السنين آدم وابرهيم واسحق ويعقوب وداود قد انجزه وصار ممكناً للانسان ان يعتق من عبودية الخطية والشيطان وتعتق الارض وتتغير حالتها الى حالة السعادة والكمال اعظم بكثير مما كان قبل سقوط آدم في الخطية .

فاسفار العهد القديم والجديد معاً انما هي اعلان واحد من لدن الله اما العهد القديم فيشرح لنا كيف دخلت الخطية الى العالم وكيف وعد الله بالخلاص منها واما العهد الجديد فيشرح كيف اكمل الله ذلك الوعد وكيف قدم المسيح حياته كفارة عن خطايا العالم (الرسالة الاولى

ليوحنا ٢:٢) «ليهب الخلاص لكل من يقبل اليه اقبالاً حقيقياً» (بشارة متى ١١:٢٨ ويوحنا ٦:٣٧) .

اما من جهة الانبياء والرسل فنؤمن انهم مفوضون من عند الله لتعليم وتبشير العالم فليسوا هم ملوكاً ولا ولاة بل منذرين ينذرون الناس ان يتوبوا عن خطاياهم ويرجعوا الى الله الحي وانهم ليسوا بمعصومين من الخطية وانه لم يعش احد معصوماً من الخطية سوى المسيح ولنا الادلة الكافية على عصمته منها شهادات الانبياء (سفر اشعياء ٥٣:٩ وقابل يوحنا ٨:٤٦) وشهادات تلاميذه (الرسالة الاولى لبطرس ٢:٢٢ والرسالة الاولى ليوحنا ٣:٥ ورسالة العبرانيين ٤:١٥) ويشهد له نفس الذين صلبوه (بشارة لوقا ٢٣:٤ و١٤ و٤٧) .

والقرآن مع نسبته الخطايا للانبياء الآخرين لم ينسب واحدة ليسوع بل يشهد له بانه مطاهر عنها قال في سورة (مريم آية ١٨) على لسان الملك الذي بشر امه به «قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً» قال البيضاوي وغيره اي طاهراً من الذنوب او نامياً على الخير اي مترقياً من سن الى سن على الخير والصلاح . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما وقالوا ان هذا الحديث متفق عليه وهو قوله صلعم «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير

عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب» اي المشيمة (انظر مشكاة المصابيح باب بدء الخلق وذكر الانبياء في آخر الفصل الاول)

مع ان محمداً في قرآنه وحديثه ينسب خطايا كثيرة لسوى المسيح من الانبياء والرسل انظر سورة طه آية ١٢١ والبقرة آية ٣٥ و٣٦ والمعارج١٩والانعام آية ٧٦ الخ وابرهيم آية ٤١والقصص آية ١٥ و١٦ والشعراء آية ١٩ — ٢١ والأعراف آية ١٥٠ ويوسف آية ٢٤ وص آية ٢٤ و٢٥ و٣٤و٣٥ والصافات آية ١٣٩ — ١٤٤ والفتح آية ٢ وهود آية ٤٤ — ٤٧ والانشراح آية ٢ و٣ والأحزاب آية ١ والزمر آية ٦٥ والمائدة آية ١٧ وعبس آية ١ — ٦ والأنعام آية ٥٢ والنساء آية ١٠٦ ومحمد ٢١ وغيرها من الآيات القرآنية.وفي الحديث كثير من ذلك الحديث الصحيح قوله «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وفي البخاري ومسلم حديث يرويه ابو هريرة ان رسول الله ص قال «لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات اثنتين منهن في ذات الله الخ» وقد قال محمد احاديث متعددة تفيد استغفاره وتوبته من ذنوبه منها قوله «اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة» وقوله «توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى الله عز وجل مائة مرة في اليوم» وقال قتادة انه قال عقب نزول قوله «لقد كدت تركن اليهم شيئاً

قليلاً » «اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين» الى آخر الاحاديث

وانا لا نؤمن بعصمة الانبياء والرسل في اعمالهم العمومية لكننا نؤمن انهم معصومون في تبليغ رسالة الله من ان يزيدوا عليها او ينقصوا منها او يلحقوا بها اقل تحريف والعاصم لهم هو الروح القدس (انظر بشارة متى ١٠:٢٠ ومرقس ١٣:١١ ويوحنا ١٤:٢٦ والرسالة الثانية لتيموثاوس ٣:١٦ والرسالة الثانية لبطرس ١:٢١) .

ونحن معاشر المسيحيين وان كنا نؤمن بان الروح القدس الهم الانبياء والرسل ان يكتبوا ما كتبوا في اسفار العهد القديم والجديد فاننا لا نؤمن بان تلك الاسفار كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل خلق العالم ثم املاها الروح القدس على الرسل والانبياء حين كتبوها حاشا وكلا فان الله يتنزه ويتعالى عن ان يستخدم النبي كآلة صماء فاقدة الحس والعقل والارادة والمعرفة الى غير ذلك بل يستخدم معرفته واختباره وعلمه وعقله وقلبه وروحه وجسمه فيتكلم بالوحي وكأنه يتكلم من نفسه وعليه نجد في الكتاب المقدس العنصر الانساني كما نجد العنصر الالهي (مواهب الانسان مع الوحي) .

وفي الكتاب اسرار تفوق مداركنا البشرية قد استنتج بعضهم منها انها مخالفة للعقل والحقيقة ليست كذلك بل لما كانت عقولنا هبة

من الله فلا يمكن ان يكون اعلانه اي وحيه الالهي مخالفاً لها بل بما ان عقولنا محدودة والله غير محدود فمن الضروري ان نعجز عن ادراك ذات الله فان اتانا رجل بكتاب وادعى انه رسول الله يحمل الينا كتاباً منه تعالى ورأينا ان هذا الكتاب يعلن الله بحيث يحيط به العقل لعلمنا ان دعواه باطلة فلا تبرح هذه الحقيقة من بالنا وها اننا نزيدها عندما نبحث في الفصل التالي ما اوحاه الله لنا عن حد ذاته وصفاته تعالى.

الفصل الثاني

في صفات الله كما هي معلنة في الكتاب المقدس

يعلمنا الكتاب المقدس بقسميه ان الخلق يدل على وجود خالقه وان ضمير الانسان وعقله يشهدان بوجوده تعالى (سفر المزامير ١٩: ١ — ٤ وسفر الاعمال ١٧: ٢٤ — ٢٩) واما كون الله واجب الوجود فدل عليه الكتاب حينما ينسب الى الذين ينكرونه الجهل الاختياري والسفه التعمدي (سفر المزامير ١٤: ١ و٥٣: ١ ورو ١: ١٩ — ٢٣) وفي الكتاب ان الله واحد (سفر التثنية ٤: ٣٥ و٣٩ و٦: ٤ واشعياء ٤٤: ٨ و٤٥: ٥ و٤٦: ٩ وبشارة مرقس ١٢: ٢٩ ويوحنا ١٧: ٣ والرسالة الاولى الى كورنثوس ٨: ٤ وافسس ٤: ٦) وانه روح (بشارة يوحنا ٤: ٢٤) وغير

منظور (بشارة يوحنا ١٨:١ والرسالة الاولى الى تيموثاوس ٦:١٥و١٦) وغير محدود ازلي غير متغير (سفر المزامير ٩٠:٢ و١٠٢:٢٤—٢٧ ورسالة يعقوب ١٧:١) ومحيط بكل مكان وبكل علم (سفر المزامير ١٣٩:١—١٢ وارميا ٢٣:٢٣ و٢٤ واعمال الرسل ١٧:٢٧ و٢٨) وكلي القدرة والحكمة (سفر التكوين ١٧:١ وايوب ١٢:٧—١٠ و١٣ ومزامير ١٠٤:٢٤ واشعياء ٤٠:١٢ — ١٨ والرسالة الاولى ليوحنا ٣:٢٠)

وكما ان الله موصوف في الكتاب بالاوصاف المتقدمة فهو موصوف بالقداسة (سفر الرؤيا ١٩:٢و٢١:٨ وسفر صموئيل الاول ٢:٢ ومزامير ٢٢:٣ و٤٥:١٧ واشعياء ٦:٣ وسفر الرؤيا ٤:٨) وانه بار وعادل (سفر العدد ٢٣:١٩ والتثنية ٣٢:٤ ومزامير ٣٣:٤و٥ واشعياء ٢٦:٧و٤٥:٢١ والرسالة الى رومية ٢:٥—١١ والرسالة الاولى ليوحنا ١:٩ وسفر الرؤيا ١٥:٣ و١٦:٥—٧) ورؤوف رحيم طويل الأناة (سفر الخروج ٣٤:٦ ومزامير ٩:٨—١٠ وسفر مراثي ارميا ٣:٢٢ و٢٣ وحزقيال ٣٣:١١ وبشارة متى ٥:٤٥ ويوحنا ٣:١٦ ورسالة يوحنا الاولى ٤:١٦) وخالق وضابط كل شيء (سفر التكوين ١:١ وسفر صموئيل الاول ٢:٦ و٧ ومزامير ٣٣:٦و٣٧:٢٣—٢٥و١٠٤ وبشارة

متى ٦: ٣١ و٣٢ و١٠: ٢٩—٣١ ورسالة رومية ١١: ٣٦ وسفر الرؤيا ٤: ١١)

هذه بعض الصفات المجيدة التي ينسبها الكتاب الى الاله الحقيقي واما بقية صفاته فمجموعة في وصفه بالكامل في طبيعته ومعرفته وهدايته وسائر اعماله (سفر التثنية ٣٢: ٤ وسفر صموئيل الثاني ٢٢: ٣١ وايوب ٣٦: ٤ و٣٧: ١٦ ومزامير ١٨: ٣٠ و١٩: ٧ وبشارة متى ٥: ٤٨)

فمن اطلع على هذه الصفات وحكم ذمته وعقله يسلم انها جديرة بالله الخالق الرحيم ويجزم ان مجرد العلم والعقل لا يبلغان بصاحبهما الى انشائها بمعزل عن الالهام الالهي بدليل ان الفلاسفة القدماء كارسطو وافلاطون الذين استنفدوا العقل والعمل في البحث عن الله تعالى لم يهتدوا الى معرفته حسب الاوصاف المنسوبة اليه في الكتاب المقدس التي مر بيانها فما ادركوا حقيقة وحدانيته ادراكاً جلياً ولا ذاتيته ولا قداسته وعلى الخصوص الصفة الاخيرة اي القداسة فانها وردت في الكتاب المقدس بحالة لا مثال لها في كتب الاديان جميعها قديمها وجديدها

ان الاتقياء المخلصين المجدين في معرفة الله تعالى وعمل مرضاته تماماً اذا قرأوا الكتاب المقدس يفهمونه وتصل كلمته تعالى الى قلوبهم

وتضيء بصائرهم وافهامهم بنور روحي (مزامير ١١٩:١٠٥ و ١٣٥) فيقدرون ان يجدوا الله (سفر التثنية ٤:٢٩ وارميا ٢٩:١٣ وبشارة يوحنا ٧:١٧) ويعرفون ارادته وتنسكب في قلوبهم مخافته ومحبته بروحه القدوس (الرسالة الى رومية ٥:٥) ويقبلون نعمة الله التي تقدرهم على طاعته تعالى وتتجدد قلوبهم ويولدون ميلاداً ثانياً روحياً (بشارة يوحنا ١:١٢و١٣و٣:٥و٦) ويصيرون بواسطة ايمانهم بيسوع المسيح خليقة جديدة (٢ كورنثوس ٥:١٧) يحبون البر ويبغضون الاثم يهربون من الشر ويلتصقون بالخير وذلك لان الكتاب المقدس يصف الله بالقداسة والعدل فهو يقاص الذين يقسون قلوبهم كما قسى فرعون قلبه . وهو اله عادل شديد العقاب ولكنه يعامل الذين يتوبون اليه ويرجعون عن خطاياهم ويخدمونه في جدة الحياة كآب رؤوف رحيم كثير الوفاء والاحسان. ترى مما تقدم ان طالب الحقيقة اذا راجع الآيات التي اشرنا اليها في هذا الفصل ودرسها مستعيناً بالصلاة يتبين له ان شروط الوحي متوفرة في الكتاب المقدس وان شاء الله سنبين ذلك باكثر جلاء في الفصول الآتية :—

وسيظهر من اسفار العهد الجديد ان معرفة الله الحقيقية يحصل عليها الانسان بتعليم روح الله القدوس المستعد على الدوام ان يعيننا

ويرشدنا وان الله معلن تمام الاعلان في المسيح يسوع وعلى ذلك قوله: «من رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤:٩) بل معلن فيه دون سواه لانه «كلمة الله»

الفصل الثالث

في حالة الانسان الاصلية وحالته بعد السقوط واحتياجه الى الخلاص من الخطية والموت الابدي

من رام الاطلاع على حالته الحقيقية الواقعة كما هي في اعتبار الله القدوس يطلع عليها جزئياً على صفحة ضميره ولكنه يعرفها تمام المعرفة من الكتاب المقدس لانه كلام من هو بكل شيء عليم «ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف» (الرسالة الى العبرانيين ٤:١٣) لا يعلم الله ما عملناه فقط بل وماسنعمله وما يخطر على بالنا كل ايام حياتنا وهو الذي يقدر ان يخبرنا عن غايته التي قصدها من خلقه ايانا وحفظه لنا بقيد الحياة وعلى اي شيء تتوقف سعادتنا بالمستقبل. ان الفلاسفة كتبوا في الالهيات افكارهم وخواطرهم عن هذه المواضيع ولكن العقل السليم يجزم بانه ان كان الله قد اعلن ارادته لنا بواسطة الرسل والانبياء يكون اعلانه اجدر بثقتنا من الآراء

الفاسفية والاقيسة البشرية المحدودة والغير المعصومة. ولذلك فمن اراد ان يعرف لاية غاية خاقنا الله وكيف سقطنا الى حالة الخطية والتعاسة يجب ان يرجع الى كلام الله حتى يقف على الحقيقة. وهنا نتوسل بكل لطف واحترام الى القارئ المسلم العزيز ان ياتي كلاً من التشيع والتحامل جانباً اثناء اطلاعه على الكتاب المقدس اي التوراة والزبور والانجيل التي يشهد لها القرآن اعظم شهادة تليق بكلام الله. اقرأ في الكتاب بما يليق بمقام صاحبه من التوقير والاحترام بعزم ماض ونية خالصة داعياً الله ان يمنحك فهماً وهدى روحيين حتى يتيسر لك ان تفهم ما تقرأه وتنفتح بصيرة قابك وتشاهد حالة نفسك الداخلية تلك الحالة التعيسة الشقية عند ذلك تنال الخلاص الدائم والحياة الابدية والبركة والسعادة اللانهائية. في سفر التكوين ١:٢٦—٢:٢٥ وسفر الجامعة ٧:٢٩ نجد ان الله خلق الانسان في حالة الاستقامة والقداسة والسعادة وهذه تبين ان الله خلق الانسان على صورته وشبهه تعالى اي ان عقل ذلك الانسان المخلوق المحدود وخصوصاً روحه كانت قبل سقوطه تشابه الخالق الغير المحدود بنوع ماوبها جعل الله تعالى نفسه معروفاً لدى الانسان وكان الانسان حينئذ معصوماً من الخطية بل من خطور الافكار الشريرة على قلبه وعقله كما من كل الشهوات

الجسدية والنفسية والروحية وكان جسمه غير معرض لمرض ما او للموت. وحيث انه عرف الله واحبه ورغب في ان يخدمه فلذلك كان سعيداً وقنوعاً وكان رئيس كل المخلوقات التي على وجه الارض ونعلم من سفر التكوين ان الله اعدّ له مسكناً جميلاً مباركاً هو جنة عدن (سفر التكوين ٢:٨) وكانت واقعة غالباً على السهل الذي بنيت عليه بابل فيما بين النهرين ومدن اخرى فيما بعد .

فكل امرئ يعلم بشهادة ضميره ووجدانه انه فقد تلك الحياة السعيدة حياة العصمة والهناء واصبح مكبلاً في قيود الخطية والتعاسة ثم ان تاريخ الامم البائدة التي اكتسحها الله عن وجه الارض بسبب خطاياهم والشقاء الحاضر المخيم على وجه البسيطة من ألم وموت يحصد الكبار والصغار لاعظم دليل على ان الانسان لم يبق على الحالة التي فطره الله عليها وكان تعالى يريد ان يبقى الانسان ونسله عليها الى الابد. وعلاوة على ذلك نجد ان الكتاب المقدس يخبرنا بمقدار ما بلغ اليه الانسان من الشرور والمعاصي وخصوصاً في اعتبار الله القدوس (سفر التكوين ٨:٢١ ومزامير ١٤٣:٢ ورسالة رومية ٣:١٠—٢٠ و٢٣ ويوحنا الاولى ١:٨)

ومن يتأمل في حالة قلبه اقل تأمل وافتكر برهة في الاميال

الفاسدة والاهواء المشوشة التي تنبع على الدوام من قلبه كما ينبع الماء من العين لا يبقى عنده مجال للريب في أنه بالحقيقة خاطئ في نظره تعالى كما هو موصوف في الآيات المشار اليها. وتشهد عليه ذمته وضميره انه ليس هو خاطئاً فقط بل ان الخطية والفساد استحوذا على قلبه حتى لم يبق في مقدرته وسيلة للتخلص من نير الخطية وشعر ان هذه حالته منذ حداثة سنه بل منذ ولادته وحينئذ يتبين له ان طبيعته الادبية فاسدة. الا ان للناس مذاهب في اميالهم نحو الرذيلة فبعضهم ميالون لمحبة المال وبعضهم للبخل وبعضهم لمحبة الشهرة وآخرون قساة القلوب وآخرون متكبرون وغيرهم فاقدو الشعور وبعضهم ملحدون وبعضهم زنادقة وغيرهم منافقون والبعض ميالون لاكثر من هذه. وعلمنا علم اليقين بالاختبار والمشاهدة انه لا يوجد انسان على وجه الارض خال من الخطية حتى ان خير الاخيار واكثر الناس تقوى يعترفون بانهم طالما عملوا اعمالاً لم يكن يجوز لهم ان يعملوها ولم يعملوا اعمالا كان يجب عليهم ان يعملوها. وبالجملة فان حياة العالم كله في العصور الغابرة والحاضرة دليل محسوس على صدق كلام الله المسطور في الكتاب المقدس وان كثيرين من الوثنيين لما سمعوا شهادة الكتاب عن الانسان وقابلوا بينها وبين واقعة الحال في انفسهم وبين

ذواتهم شعروا ان هذه رسالة منه تعالى تصف حالتهم الروحية البائسة قائلين ان صاحب هذا الكتاب انما هو الذي خلقنا .

وقد اختبر بعضهم تغييراً في حالة قلوبهم بحيث اصبحوا يبغضون الخطية ويحبون الصلاح الا ان هذا التغيير يجب ان ينسب الى الميلاد الثاني الذي شرحه المسيح في بشارة يوحنا ٣:٣و٥ الذي لا يمكن ان يحصل عليه احد إلا بواسطة الايمان به .

وقد رأينا ان التوراة تفيد ان آدم عندما خلقه الله لم يكن يميل بطبيعته الأولى الى الخطية وبالنتيجة كان خالصاً من حالة الشقاوة المستولية اليوم على ذريته . ثم ان البحث العقلي يؤيد ذلك لانه من المعلوم ان الخطية هي مخالفة لمرضاة الله وان الخطية هي التعدي على الشريعة الادبية التي توافق ذاته تعالى وتصدر عنها فليس من المعقول ان نقول ان ارادته تعالى هي التعدي على ذاته تعالى وحيث ان بني آدم غرقوا في بحار الخطية والشقاوة وغدوا سبايا النفس الامارة بالسوء فيلائم حالتهم ان يبحثوا حتى يعلموا من اين دهمتهم هذه المصيبة الدهماء.

ونجد الجواب على هذا السؤال في اسفار الكتاب المقدس حيث نقرأ ان الخطية ونتائجها المحزنة دخلت الى العالم بسبب عداوة ابليس وغوايته لجنسنا من الجهة الواحدة وبسبب حرية ارادة الانسان

وابتغائه ان يعمل مرضاته دون مرضاة الله من الجهة الاخرى حيث خدع ابليس حواء التي خدعت آدم فعصى آدم ربه حراً مختاراً. ومن تلك الساعة ارتد آدم عن الله وحاد عن جادة الحق وانقطعت الصلة بينه وبين من هو ينبوع الحياة والسعادة الحقيقية (انظر سفر التكوين ص ٣ قابل يوحنا ٨: ٤٤ ورسالة رومية ٥: ١٢ و١٩ ورسالة تيموثاوس الاولى ٢: ١٣ و١٤)

قيل لِمَ لَمْ يمنع الله دخول الخطية الى العالم ولماذا سمح لابليس ان يجرب الانسان وينتصر عليه او لماذا لا يزال يترك له الحبل على الغارب في تجربة البشر الى الآن؟ فالجواب مفصل في كتاب «طريق الحياة» ونكتفي هنا بالقول ان الله سبحانه وتعالى لم يكشف لنا غايته من ذلك تماماً وليس في طاقة البشر ايجاد جواب شاف من كل وجه لهذا السؤال الصعب غير اننا نقول ليس من الضروري ان نضع اعمال الله تحت بحثنا انما الضروري ان نعترف بسوء حالتنا ونبحث عن كيفية النجاة. وغاية ما في الامر ان نعرف ماعرفه ابرهيم وهو ان ديان الارض كلها لا بد ان يكون عادلاً في كل اعماله (سفر التكوين ١٨: ٢٥)

غير ان بعض الحكماء اكدوا لنا بان وجود التجارب في الحياة الدنيا والشقاوة والآلام الناتجة عن الخطية هي درس لتدريب النفس

على حياة الفضيلة بواسطة مقاومة التجارب والانتصار عليها بنعمة الله، وبواسطة اختبارنا نتائج الخطية المحزنة. أنعم الله على الانسان بحرية الارادة ليختار لنفسه ما شاء من الحق او الباطل: الطاعة او المعصية، الحرية او العبودية لابليس، وقد أعان الله إرادته ومحبته لنا وهدانا الى طريق الحق الا انه تركنا نختار مانريد ولم يلزمنا بالرغم منا ان نختاره تعالى دون سواه، قصد الله ان نحبه لكن لا اكراه في المحبة كما لا اكراه في الدين المسيحي الحق بعد أن تبين الرشد من الغي .

وعلمنا الله في كتابه انه لم يكن طبق ارادته تعالى ان نخضع لسلطان ابليس ونرزح تحت نير الخطية بل ارادته ان نتحرر ونعتق من هذه العبودية الصارمة ونتطهر من شوائب الخطايا والعيوب ونرجع الى الحالة التي خلقنا عليها حالة الطهارة والقداسة التي فقدها آدم لكي نصير ورثاء السعادة الابدية. وان الكتاب بقسميه واختبار الجنس البشري يثبتان ان الانسان لا يقدر ان يحظى بالسعادة الحقيقية مالم يتب عن اعماله الشريرة ويرجع بايمان حقيقي الى الله ويتحرر من سلطان الخطية ويفوز بالغفران لانه بدون نقاوة القلب لا يمكن ان نشاهد الله ببصائرنا القلبية (بشارة متى ٥:٨ والرسالة الى العبرانيين ١٢:١٤) ان التقي الحقيقي يجب ان يكون قديساً لان الله قدوس (لاويين ١٩:٢

وبشارة متى ٥:٤٨ والرسالة الثانية الى اهل كورنثوس٦:١٤—٧:١ ورسالة بطرس الاولى ٢:٩ و١٠ ورسالة يوحنا الاولى ٣:١—٨)

هذا هو تعليم الكتاب المقدس لان الضمير والعقل يشهدان ان الانسان خلق صالحاً على صورة الله وشبهه ثم سقط وان لا وسيلة لارجاعه الا بواسطة اعادة خلقه على صورة القداسة التي سقط منها ليكون اهلاً لسكنه مع الاله القدوس ورؤية وجهه تعالى .

فان كنا نقابل بين تعاليم الكتاب المقدس وكتب الاديان الاخرى من حيث المبادئ المذكورة هنا نجد فرقاً عظيماً لان تلك الكتب لا تفيدنا شيئاً بخصوص مقصد الله في خلقه الانسان ولا تشير اقل اشارة الى وجوب تطهير القلب وتقديس الروح وكل ما جاء فيها بهذا الصدد فهو محصور ضمن اعمال الوضوء والغسل التي لا تصل الا الى الجسد والمغفرة في تلك الكتب تلتمس من باب الانابة على الحج والاضحية والصدقات. يا اخوان لا ننكر ان الوضوء والغسل لازمان لتنظيف الابدان ولكن اين هي الابدان من القلوب؟ قال المسيح زاجراً ولائماً فرقة من اليهود تصوروا ان الغسل يقربهم الى الله «ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة ايها الفريسي

الاعمى نقِّ اولاً داخل الكاس والصحفة لكي يكون خارجهما ايضاً نقياً (بشارة متى ٢٣:٢٥ و٢٦) وكذلك الاعمال الصالحة وفي جملتها الصدقات يجب ان تكون ناتجة عن محبتنا لله وامتثالاً لمشيئته واظهاراً لمنو نيتنا وتشكراتنا على سابق مغفرته ورحمته وليس لكي نستعطفه تعالى ونحمله على ان يغفر لنا فان مثل هذه الاحساسات تقلب العمل الصالح الى عمل رديء لان الديان العادل لا يقبل الرشوة لاجل أن يغفر للمذنب ذنبه فقيمة الاعمال الصالحة تقاس على البواعث التي تبعث اليها والله عليم بتلك البواعث ولا تخفى عليه خافية .

ولاجل أن نعلم مشيئة الله ونستعين على الانقياد اليها علمنا كثيراً من اسفار العهد القديم والجديد ما يجب علينا ان نعمله وما يجب ان نجتنبه وعدا ذلك فانه لخص الشريعة الادبية في وصايا مختصرة وردت في اجزاء مختلفة من التوراة ففي اسفار موسى نجد الوصايا العشر (سفر الخروج ٢٠:١—١٧ وسفر التثنية ٥:٦—٢١) وفي أواخر اسفار العهد القديم نجد خلاصة اخرى للشريعة الادبية .

وردت في سفر ميخا النبي وهاك هي «قد اخبرك ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك» (ميخا ٦:٨)

ينتقد بعضهم على المسيحيين ان ليس لهم شريعة مؤلفة من اوامر ومحظورات وفاتهم ان الشريعة التي اشرنا اليها في اسفار العهد القديم لا تزال نافذة المفعول على المسيحيين على انه لنا في الانجيل شريعة عظيمة نطق بها المسيح في موعظته على الجبل (راجع بشارة متى ص ٥ و٦ و٧) وعدا ذلك فانه جمع واجباتنا في آيتين وجمعهما في واحدة (بشارة مرقس ١٢: ٢٨—٣١ وبشارة لوقا ٦: ٣١) فمما تقدم نرى المسيح وضع مبادئ عمومية جامعة للارشاد الى ما ينبغي عمله في كل ظروف الحياة مع ان غيره من واضعي الشرائع عينوا ارشاداً مخصوصاً لكل عارض يحدث لهم. ومن يقرأ (اصحاح ١٢ كله و١٤: ١—٨ من الرسالة الى رومية واصحاح ١٣ من رسالة كورنثوس الاولى و٤: ١—٢١ من رسالة افسس وكولوسي ٣: —٤) ير سمو وقداسة المبادئ المحتمة على المسيحيين ان يسلكوا فيها. لم نؤمر بغسل ايدينا قبل الصلاة بل امرنا ان نغسل قلوبنا ولا ان نحج مرة في العمر بل نكون على الدوام حجاجاً متغربين في الارض لانه ليس لنا فيها مدينة باقية بل نكون قاصدين المدينة السماوية وكل ما قطعنا مرحلة من طريق الحج الى السماء زدنا تمثلاً واقتداء بقداسة الله وعلينا ان لا نصلي خمس مرات أو سبعاً في اليوم بل نصلي في كل حين وبدون انقطاع (١ تسالونيكي

١٧:٥) اي نصرف حياتنا بجملتها في شركة مستديمة مع الله . ولا ان نقدم ذبائح حيوانية كما كان يقدم اليهود بل نقدم ذواتنا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله (رسالة رومية ١٢ :١و٢ ورسالة بطرس الاولى ٢ :٥)

مما تقدم نرى ان شريعة العهد الجديد ابلغ واسمى من شريعة العهد القديم وهي توافق تمام الموافقة صفات الله الجلالية والكمالية لانها توصي بنقاوة القلب وبالتالي تؤدي الى قداسة الحياة.وغني عن البيان انه بدون هذه الوصايا الروحية يضيع لب الدين ولا يبقى منه سوى قشور الرسوم الخارجية التي لا تبرر الانسان . ان وصايا الانجيل اعلى في روحانيتها وكمالها من وصايا كل الاديان لانها مدبرة بطريقة خصوصية تغير طبيعة القلب الفاسدة الى طبيعة مقدسة تفيض اعمالاً صالحة مدى العمر. وعليه يجب ان نقبل وصايا الدين المسيحي لا كاقوال بشرية مثل بقية الاديان (الا الدين اليهودي) بل كما هي بالحقيقة وصايا الله نفسه.وان اردت قولاً جامعاً لوصايا الانجيل فانظر الى ما قاله المسيح في هذا المعنى وتأمل فيه بعين مجردة من الغرض قال «تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك

كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء (بشارة متى ٢٢:٣٧—٣٩) وهذه الاقوال مقتبسة بتوسع من اسفار العهد القديم (انظر سفر التثنية ٦:٥و١٠:١٢و٣٠:٦ ولاويين ١٩:١٨) فترى تعليم اسفار العهد القديم والعهد الجديد واحداً من حيث الواجبات التي يكلفنا بها الله والطريق الذي ينبغي لنا ان نسير فيه لانه في العهدين يريد الله منا ان تمتلئ قلوبنا بمحبته تعالى لانه احبنا اولاً. حتى نصرف سائر قوانا الجسدية والروحية والنفسية والعقلية كل يوم وكل ساعة في خدمة الله ومرضاته.وكما اننا نبتغي الخير لانفسنا ونسعى لمصالحنا يجب أن نعمل مثل ذلك لجيراننا وان كانوا اعداءنا لان الاعداء في اعتبار الله لم يخرجوا عن كونهم جيراننا واقرباءنا واخواننا واياهم قصد المسيح لما اوصى ان تحب قريبك كنفسك (انظر بشارة لوقا ١٠:٢٥—٣٧) بمثل هذه الفضيلة نطيع قانون المسيح الذهبي القائل: «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم» (بشارة متى ٧:١٢) وعلى قدر ما في هذه الوصايا من توثيق رابطة المحبة بين الانسان وخالقه وبينه وبين بني جنسه يتنقى القلب من الدنس وتعتق النفس من محبة الذات وتؤدي بطبيعة الحال الى سعادة الدارين.

وكذلك توافق هذه الوصايا الناموس الطبيعي الذي نقشته يد

الخالق على صحائف القلوب والضمائر . فان كنت تقابل بين ناموس ضميرك وشريعة قلبك وبين ما تتلوه عليك من وصايا المسيح وموسى تعلم وتجزم ان تعليم الكتاب المقدس صادر من الخالق عز وجل وتتحقق انه موحى به منه تعالى كما تتحقق الشمس في رابعة النهار. فليكن معلوماً لك ان الذين لا يقبلون تعليم الكتاب المقدس يدانون بموجبه في اليوم الاخير وذلك لانه منقوش على قلوبهم وضمائرهم. ولهذا السبب عينه كتب الله شريعته الادبية على القلوب حتى لا يكون عذر لمن عصى.حتى ان الوثنيين والملحدين مسئولون عن حفظ الناموس الادبي حسب طبيعتهم لان الناموس مكتوب على قلوبهم. ويعرفون الى درجة ما انهم خالفوا هذا الناموس الطبيعي وانهم واقعون تحت طائلة العقاب ومحتاجون لمخلص .

ولقائل يقول:ان كان الناموس مكتوباً على القلوب ويكشف لنا احتياجنا الى مخلص فما الداعي الى الكتاب المقدس.فاجيب ان الداعي اليه تحصيل شهادة ثانية تؤيد شهادة الضمير مع ان في الكتاب المقدس بياناً اوفى ونوراً اعظم وثقة ارسخ لكي نتشجع في جهادنا الروحي طالبين منه تعالى العون في كل احوال الحياة .

وفي الكتاب شهادة يا حبذا لو فطن اليها الناس وهي ان معرفة

الحق لا تبررنا بل بالحري تزيد مسئوليتنا ما لم نكن سالكين بموجب الحق الذي عرفناه (بشارة متى٧: ٢١—٢٧ ولوقا١٠: ٢٥—٢٨ ويوحنا ١٣: ١٧ ورسالة رومية ٢: ١٣) وفيه ايضاً ان العدالة الالهية لا ترتضي ان تمس الطاعة الكاملة شائبة من شوائب النقص بمعنى انه لا يرتضي الا بالكمال في اخلاقنا واعمالنا (بشارة متى ٥: ٤٨) فان اطاع الانسان الوصايا جميعها ما عدا وصية واحدة يعد مجرماً (رسالة يعقوب٢: ١٠ و١١ ورسالة غلاطية٣: ١٠—١٢) وكذلك الحال بالنسبة الى القوانين المدنية مثال ذلك ان قانون البلاد يمنع القتل والسرقة فان كنت لم تقتل ولكن سرقت ولو مرة واحدة في العمل وضبطت لا يشفع لك عند القاضي كونك لم تقتل بل يعاقبك على سرقتك. لم يذكر عن آدم الا خطية واحدة ومع ذلك جلبت الويل والموت. فتأمل ما اشنع عواقب الخطية الواحدة. من اجل ذلك لا تؤمل انك تفوز بغفران الله عن معصية واحدة مقابل طاعات كثيرة فمن رام مرضاة الله بعمله عليه ان يحفظ وصاياه جميعها بالضبط والدقة ومتى تعدى على اقل وصية يدرج اسمه في قائمة العصاة ويحال الى الدينونة .

ولكن هل وجد على سطح كرتنا الارضية انسان اطاع الله كل حياته طاعة كاملة؟ ومن ذا الذي احب الله من كل قلبه وفكره و نفسه

واحب قريبه كنفسه (بشارة متى ٢٢: ٣٧ و٣٩) ومن ذا الذي قضى عمره ولم يرتكب معصية ولا زلة ما ولا فرطت من فمه كلمة سوء ولا جال على خاطره فكر خبيث ولا شهوة ردية (انظر سفر ايوب٤: ١٨و١٩و٢٥: ٤—٦ ومز١٤٣: ٢ وروم٣: ٢٠) ولم يوجد انسان عاش ومات ولم يعمل خطية قط الا سيدنا يسوع المسيح .

واذ قد علمت ان كل الجنس البشري (ما عدا يسوع) مذنب بشهادة ضميرك وشهادة كلمة الله المعلنة في الكتاب المقدس ألا يجب علينا ان نعترف بخطايانا بقلب منسحق متخشع امام خالقنا قائلين: «أيا رب الارباب البار القدوس ان الطهارة التي انت تريدها ليست فينا ولذا نحن يا رب نستحق غضبك والموت الابدي فطهرنا ؟ »

اما كون الله يعاقب الخطاة على خطاياهم فقضية مسامة. اولاً لان التجارب والاختبارات تؤيد ذلك . ثانياً لان شهادة الضمير تؤيده ايضاً. ثالثاً لان كلمة الله تصرح بهذه الحقيقة كما في هذه الآيات (حزقيال ١٨: ٢٠ وبشارة متى ٢ :٣٦ و٢٥: ٤١ ورسالة رومية ١: ١٨ و٢: ٨ و٩ ورسالة كولوسي٣: ٢٥ورسالة تسالونيكي الثانية١: ٩) يتصور بعضهم ان الله يغفر للمذنبين ذنوبهم بدون ان يعاقبهم استناداً على كونه رحيماً ورحمته غير متناهية الا ان هذا محال ادبياً الا بتدبير طريقة لتكريم

شريعته ووفاء مطاليبها واما ان غفر الذنوب بدون ان يقضي حق حرمة شريعته فلا يكون عادلاً وحقاً ان رحمته ومحبته غير محدودتين ولكن لا تنس ان عدله وقداسته غير محدودتين كذلك فيستحيل عليه ان ينظر بعين الرضى الى فاعل الشر

وعدا ذلك فان الخطية بطبيعة الحال لعنة وقصاص لفاعلها ولا يمكن ان يكون سعيداً لا في هذه الدار ولا في الدار الآتية لان الانسان الشهواني مثلاً لا يعرف للسعادة الحقيقية معنى حتى هنا لان الخطية تنزل طبيعة الانسان الى الحضيض فيصير قاسياً جباناً محباً للذات دنيئاً نذلاً متباعداً عن حضرة الله القدوس مصدر السعادة وينبوع السلام والسرور قال المسيح «ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية» (بشارة يوحنا ٨: ٣٤) واعظم قصاص يقع على الخاطئ بقاؤه في حالة الخطية وذلك نصيب الذين اصروا على تفضيل الظلمة على النور والشر على الخير وابليس على الله (بشارة يوحنا ٣: ١٩ وسفر الرؤيا ١٢: ١١)

ولاحظ ايضاً انه من رحمة الله ومحبته ان لا يترك الانسان يخطئ بلا عقاب لانه ان علم الانسان انه ان اخطأ لا يعاقب يتهور في الخطية ويغوص في بحر الفساد الى ما لا قرار له فتسوء حاله وتبلغ

تعاسته جداً لا يوصف وتكون حياته ويلاً لنفسه وقومه فاين هذه النتائج المحزنة المدمرة من رحمة الله ومحبته

ويتضح ان التعدي على شريعة الله موجب للعقوبة والا فلماذا انزل الله الشريعة الادبية ولماذا كتبت في الاسفار الالهية ولماذا كتبها على قلوب البشر؟ لا يقدر ذو عقل سليم يتصور ان عبيد الله العصاة والطائعين متساوون عند الله ويعاملهم معاملة واحدة

وحيث ان كل الجنس البشري اخطأ ما عدا واحداً فوجب علينا جميعاً القصاص ولا قدرة فينا نحن معاشر الخطاة ان نرضي الله او ان نكفر عن خطايانا وننال غفرانه تعالى ونحصل على المصالحة معه ثم اننا لا نحتاج فقط الى نجاة من القصاص بل بالاكثر نحتاج ايضاً الى واسطة نخلص بها من قوة الخطية ومحبتها فالقصاص حسن ونافع للخاطئ وفي الغالب يقوده الى التوبة فلذلك الخطية موجبة للقصاص دائماً. فنحتاج الى طريقة بها نخلص من نتائج الخطية الابدية التي تحول بيننا وبين الله وتنفينا من حضرته المقدسة وتسقطنا من محبته وعنايته الابوية وتحفظنا من ان نكون على صورة ابليس عقلاً وقلباً واذا لم نحصل هذا الخلاص نخير لنا ان لا نوجد. فكيف اذاً نجد طريقة الخلاص؟ اذا كان الانسان في حالته الساقطة الحالية لا يمكنه

ان يتم شريعة الله فمن اين له ان يكفر عما مضى ويصالح الله تعالى .
حقاً ان اعماله الحسنة لا تستوجب اقل مكافأة فضلاً عن كونها غير مقبولة بالمرة . كيف يقبل الله شيئاً من يد مدنسة ومن قلب فاسد ؟ وليس فقط اعمال الانسان ولكن حتى كلماته وافكاره مدنسة بالخطية فكيف يمكن لنا مع عدم اتمامنا الواجب لله وللقريب اننا باعمالنا الحسنة نستحق مغفرة خطايانا ؟ وذلك محال . ولو فرضنا انه وجد رجل لم يخطئ قط فلا يكون الا انه قام بالواجب وليس للقائم بالواجب فضل (بشارة لوقا ١٧ : ١٠) ولا يمكنه ان يشفع بواجبه لنفسه او لغيره . ويعلمنا الكتاب المقدس ان شريعة الله تكلفنا ان نكرس له تعالى حياتنا بجملتها تكريساً تاماً (متى ٢٢ : ٣٦ — ٤٠) وعليه فان اخطأنا الى الله يوماً ما فليس في وسعنا ان نعوض ما فاتنا في المستقبل .

ويظن بعضهم بحماقة وجهل انهم عبدوا الله اكثر مما فرض عليهم وهذا منتهى الغباوة كما هو غني عن البيان وبالرغم عن دعاويهم الباطلة عند ما يخلون الى انفسهم لا يقدرون ان يقنعوا ضمائرهم انهم مبررون في عين الله وكثيراً ما تبكتهم قلوبهم بآلام مرة وتخيفهم من هول العقاب بعد الموت حتى يقضوا الجانب الاوفر من حياتهم معذبين في خوف الموت ويموتوا في عذاب شديد . ولنضرب لك مثلاً وهو

ما حكاه ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان عن ابي عمران ابرهيم بن يزيد «لما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً. فقال واي خطر اعظم مما انا فيه انا اتوقع رسولاً يرد علي من ربي اما بالجنة او بالنار والله لوددت انها تلجلج في حلقي الى يوم القيامة» وبالطبع كان ذلك من خوفه مما بعد الموت .

وكذلك لا تكفي التوبة لمحو خطايانا نعم ان توبتنا عن خطايانا ضرورية الا انها لا تكفر عن ما مضى من آثامنا. فلذلك التوبة ليست كافية لخلاصنا. ويجب ان نلاحظ ان المتعدي على الشريعة البشرية لا تمحو التوبة عنه ما جناه فهل اذا قال قاتل او لص للقاضي انه تاب عن فعلته فهل يعدل القاضي اذا اطلقه حراً. لا شك ان ذلك مخالف للعدل لدى افكارنا الطبيعية. وحيث ان هذا الفكر عن العدل هو جزء من الناموس الادبي الذي نقشه الله على صفحات قلوبنا فلا بد ان يكون صحيحاً: ويوجد كثيرون تقست قلوبهم لدرجة لا يمكنهم معها التوبة اذا ارادوا

ها قد رأينا انه لا يمكن خلاص انفسنا باعمالنا ولا بعقوبتنا على الخطية ولا من نتائجها الاخرى. وبالاحرى لا يمكننا ان نتخلص من محبة وقوة الخطية ونحصل على المصالحة مع الله بواسطة استحقاق فينا.

فاذا لم يوجد مخاص يكفر عن خطايانا نبقى الى الابد منفيين من حضرة الله ولا يمكن لنا ابداً ان نحصل على السعادة الابدية التي يرغبها كل البشر .

وقد بينا انه اذا وجد مخاص يمكنه ان يكفر عن الخطايا ويحرر اسرى الخطية ويجعلهم طاهرين في عين الله العادل القدوس فذلك المخاص لا يكون مجرد انسان مولوداً مثل البشر وارثاً طبيعة آدم الفاسدة خاطئاً كغيره.فلا يمكن لخاطئ ان يخاص خطاة وحيث ان كل البشر خطاة فليس منهم من يقدر ان يكفر عن البقية.وجاء في الزبور ان «الاخ لن يفدي الانسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه» (مز ٤٩:٧) حتى وليس من يقدر ان يخاص اخاه من موت الجسد فكم بالاحرى لا يمكن لشخص ان يفدي الآخر من الموت الابدي .

ومع ذلك إذا وجد مخاص فيجب ان يكون انساناً والا فلا يصح ان يكون نائباً عنا وواحداً منا ولا رئيساً للبشر ولا يمكننا ان نقتنع باخلاصه ونفهم محبته لنا . ويجب ان يكون ارقى من الذين يخاصهم في طبيعته وقدره وفي الوقت نفسه يشاركهم في طبيعتهم.ويجب ان يكون خالياً من الخطية ويتم شريعة الله تماماً. فان لم يوجد مثل هذا المخاص فقد هلك كل العالم ولا رجاء لهم ولا يمكنهم الوصول الى

السعادة والقداسة التي يشتاق اليها كل مخلوق .

ولكن هل يوجد مثل هذا المخاص ؟ اذا رجعنا الى الكتاب المقدس نرى انه موجود. فالعهد القديم يتضمن الوعد بمجيئه والجديد يخبرنا كيف جاء. فقد شهد الانبياء والرسل بانه المخاص الوحيد الحقيقي من الخطية وقد قدم لله كفارة كاملة وشفاعة تامة عن خطايا كل العالم (١ يوحنا ٢:١ و٢) ولذلك فهو قادر ان يحصل على غفران خطايانا .

هذا المخلص هو الرب يسوع المسيح الذي بواسطة قدرته وقداسته وبطاعته حتى الموت قد حمل خطية العالم وصار شفيع كل الناس فقد كفر عنا وصالح الانسان مع الله القدوس البار ونال الخلاص الابدي لكل المؤمنين الحقيقيين به . اذاً فهو يقدم لكل العالم مغفرة الخطايا والفرح الابدي .

فلهذا نشترك مع الرسول بقلوب ملأى بالشكر في قوله «وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الاله الحكيم وحده له الكرامة والمجد الى دهر الدهور (١تيموثاوس ١:١٧)

لان الله المحب المحيي ارحم الراحمين من محبته ورحمته الغير متناهيتين قدم لنا نحن الخطاة فداء عظيماً وخلاصاً مجيداً بالرب يسوع المسيح . آمين .

الفصل الرابع

في الطريق الذي عمله يسوع المسيح لخلاص كل الناس

والآن بالاتكال على هداية وبركة القدير نتقدم لشرح كيفية الخلاص الذي صنعه الرب يسوع لبني البشر وذلك بناء على ما ورد في اسفار العهد القديم والعهد الجديد مع العلم بان كثيراً من طرق الله العجيبة تخفى عن عقولنا المحدودة حيث اننا لا نقدر أن نعلم شيئاً من المقاصد الالهية الا ما شاء ان يعلنه لنا وبما انه منحنا عقولاً للفحص والتحري فيجب ان نستعملها في ما يعود بالمجد لذاته العلية. واذ انعم علينا باعلان طريق الخلاص فيسره تعالى ان نتأمل في اعلانه باحترام الى ان نفهم ما استطعنا فهمه بحسب عقولنا القاصرة (١تس٥: ٢١) ولا يتوقف خلاصنا على مقدار ذكائنا بل على حقيقة ايماننا بمخلص العالم

ان الله تقدس اسمه من فيض محبته وكثرة رحمته تعطف علينا فاعد خلاصاً للخطاة بواسطة ربنا يسوع المسيح كما هو واضح في اسفار العهد الجديد ومن امثلة ذلك ما ورد في (لوقا١٩: ١٠ ويو٣: ١٦ و٢كو ١٩:٥ و٢١ و١تي ١: ١٥ و١ بط ٢: ٢١—٢٤ و١يو٢: ١٢ و٤: ٩ و١٠) اما كون الخلاص قد تهيأ بهذه الكيفية فهو حقيقة راهنة. فيلزمنا

الآن ان نجتهد لنفهم طريقة الوصول الى الخلاص بالمسيح وكيف صح ان تسند اليه تلك الالقاب العالية في هذه الآيات وغيرها مما يؤكد لنا سمو طبيعته وانه متوفرة فيه الشروط المذكورة في خاتمة الفصل الثالث

وتخبرنا الكتب المقدسة ان الله بحسب محبته الغير المحدودة ورحمته الغير المتناهية قصد من الازمنة الازلية ان يصنع هذا الخلاص (انظر افسس ٣:٢ و ١ بط ١٨:١—٢١ ورؤ ٨:١٣) لذلك انبأ من قبل على ألسنة انبيائه في العهد القديم مبيناً السبط والبيت الذي يخرج منه المخلص وزمان ظهوره والكيفية التي يباشر بها خدمته بين الناس كما انه انبأ برتبته وطبيعته وجميع متعلقات عمله الفدائي العظيم حتى انه منذ العصور الاولى اي من قبل ظهوره بمئات من السنين علم بعضهم بهذه المواعيد المباركة وآمنوا بها وانتظروا بفرح واشتياق ذلك المخلص العظيم. ومنهم آدم ابو الجنس البشري فانه علم من الله بقدوم المخلص وانه سيكون قديراً بحيث يستطيع ان يسحق رأس الحية بمعنى انه يستطيع ان يظفر بابليس ويعتق الانسان من نير عبوديته ومن الخطية (انظر تك ١٤:٣ و ١٥) وقد رأينا في الفصول الماضية ان الله وعد ابرهيم انه بنسله تتبارك جميع قبائل الارض (تك ١٨:٢٢) وتشهد

اسفار العهد الجديد ان ذلك النسل انما هو المسيح (غل٣:١٦) ثم انبأ على لسان موسى ان ذلك المخلص يكون نبياً عظيماً يقوم من وسط اسرائيل (تك ١٧:١٩ و٢١ و٢٨:١٤) وانه يعلم الشعب طريق الله وارادته (تث ١٨:١٥ و١٨ و١٩) واما كون هذا النبي العظيم هو المسيح فقد صار امراً معلوماً بشهادة ذلك الصوت الصادر من السماء يأمر الناس بالاستماع اليه (مت ١٧:٥ ومر٩:٧) وهذا على وفق قول الله لموسى ان الانسان الذي لا يسمع لما يتكلم به ذلك النبي فهو تحت طائلة قصاص صارم بالضبط

ثم جاء داود وتنبأ عن هذا المخلص وانه سيأتي من ذريته ويدوم ملكه الى ما لا نهاية (٢صم ٧:١٦ ومز ٨٩:٣ و٤ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٥ و٣٦ و٣٧ واش٩:٦و٧ و١١:١ وار ٢٣:٥ و٦ و٣٣:١٥ و١٦ و١٧ و٢٠ و٢١ و٢٥ و٢٦ قابل ذلك بما ورد في يو ١٢:٣٤)

وجاء في تك ٤٩:١٠ ان المملكة لا تزول من سبط يهوذا حتى يأتي شيلون وهذا الاسم من القاب المسيح .

ولد يسوع من نسل داود (مت ١:١ واع ٢:٣٠ و١٣:٢٢ و٢٣ ورو ١:٣) قبل التاريخ المسيحي المعروف بنحو اربع سنوات فيجب الاشارة هنا الى ان المؤرخين اخطأوا في تعيين الوقت الذي ولد فيه

المسيح بالضبط اذ اخذوا ذلك عن راهب يدعى ديونسيوس الصغير كان معاصراً للملك جوستينيان وهذا الراهب اخر سهواً تاريخ ميلاد المسيح بضع سنوات غير انه لا بأس من ان نعتمد على هذا التاريخ المتداول فنقول ان هيرودس الملك العظيم مات قبل التاريخ المسيحي باربع سنوات وكان يسوع حينئذ لا يتجاوز عمره السنتين كما يظهر من مراجعة (مت ٢:١٣) وعند ذلك انقسمت مملكة اليهود اربعة اقسام ملك على احدها المعروف باليهودية ارخيلاوس ابن هيرودس وفي السنة السادسة للميلاد خلعته الحكومة الرومانية ونفته من البلاد واصبحت اليهودية ولاية رومانية بعد ان كانت مملكة مستقلة وان كانت خاضعة للرومان ومن ذلك الزمن الى العصر الحاضر لم يكن لليهود ملك خاص وكان ذلك اتماماً لنبوة يعقوب بزوال قضيب الملك من يهوذا وان اليهود انفسهم اول المعترفين بذلك لانهم كانوا يصرخون عند صليب المسيح قائلين «ليس لنا ملك الا قيصر» (يو ١٩:١٥) وهذا دليل صريح على اتيان المسيح ذلك الزمن .

ثم ان المكان الذي كان ينبغي ان يولد فيه المسيح سبق الانبياء به على لسان النبي ميخا (مي ٥:٢) ومما هو جدير بالالتفات في هذه النبوة الاشارة اللطيفة الى سمو مقام المسيح عن بني البشر اذ قيل عنه

«ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل» وقد ولد المسيح حيث انبأ هذا النبي (مت ٢: ١ و٥ و٦) واما انه يولد من عذراء فقد دل عليه (تك ٣: ١٥) زاده دلالة (اش ٧: ١٤) وتم بالفعل كما في مت ١: ١٨ — ٢٥ ولو ١: ٢٦ — ٣٨ وصادق عليه القرآن كما في سورة الانبياء آية ٩١ وسورة التحريم آية ١٢ ومن جهة تعليمه واتضاعه وآلامه وموته وايضاً الكفارة التي كان قاصداً ان يقدمها لفداء بني البشر كل ذلك سبق التخبير به قبل زمنه على السنة الانبياء ونخص بالذكر منهم اشعياء النبي كما ترى في اش ٤٢: ١—٩ و٦١: ١—٣ (قابل ذلك مع لو ٤: ١٧—٢١ واش ٥٢: ١٣—١٥ وص٥٣ ومز ٢٢) وكذلك الوقت الذي كان مزمعاً ان يموت فيه قد تنبأ عنه دانيال النبي وبينه بوضوح كما ترى في (دا ٩: ٢٤—٢٦) فانه يحسب من وقت خروج امر ارتحشستا ملك الفرس بتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً وصدر ذلك الامر في السنة السابعة من حكم ارتحشستا (عز ٧: ١—٧) اي سنة ٤٥٨ ق م فان حسبنا تلك الاسابيع اليوم بسنة واضفنا اليها الاسبوع الاخير الذي قيل ان المسيح يقطع فيه وجدنا اتماماً عجيباً لنبوة دانيال اذ تبلغ تلك المدة ٤٩٠ سنة وهي توافق سنة ٣٢م وقد مات المسيح حوالي ذلك الوقت وعلى الارجح سنة ٢٩

او ٣٠ م والخراب المنذر به ان يلحق مدينة اورشليم وهيكلها (دا ٩: ٢٥و٢٦و٢٧)وقع عليها بعد موت المسيح بنحو اربعين سنة اي سنة ٧٠م حينما هدمها تيطس القائد الروماني كما هو مدون في تاريخ يوسيفوس وغيره من المؤرخين الذين اصبحت اخبارهم مصدقة لما انبأ به المسيح (مت ٢٤:٢١—٢٨ ومر ١٣:١—٢٣ ولو ٢١:٥—٢٤) والضيقة التي كابدها اليهود في تلك الايام (مر ١٣:٢٤) لا زالوا يكابدونها اليوم فانهم متفرقون على وجه الارض يذوقون اصناف العذاب والمسلمون انفسهم مشاهدون لما يحل بهم من النكبات ليس في بلادهم فقط بل وفي غيرها كروسيا ولم تتم بعد «ازمنة الامم» منذ استيلائهم على اورشليم الى الآن (لو ٢١:٢٤) اذ هم يتملكون الى الآن اورشليم.

وفي اسفار الانبياء شيء كثير من النبوات عن هذه الامور مثل قيامة المسيح وصعوده الى السماء وجلوسه عن يمين الله ومن امثلة ذلك ما ورد في (مز١٦:١٠) بالمقابلة مع ما ورد في اع ٢:٢٢— ٣٦ ومز ١١٠:١ ودا ٧:١٣ و١٤ وتنبأ دانيال ايضاً بان مملكة المسيح ستتأسس في ايام سيادة المملكة الرابعة اي المملكة الرومانية (دا ٧: ٢٣) كما زالت المملكة الرومانية وتمت فيها نبوة دانيال (انظر دا ٢: ٣٤و٣٥و٤٤و٤٥و٧:٧ و٩و١٣و١٤و٢٣ و٢٧) اما الممالك الاربع المشار

اليهـا فهي مملكة بابل والفرس واليونان والرومان (دا ٢:٣٧—٤٥ و٨:٢٠ و٢١)

ولما بلغ المسيح ثلاثين سنة من عمره (لو ٣:٢٣) اخذ يكرز بالبشارة كما يوضحه لنا الانجيل ويجول يصنع خيراً فعمل معجزات باهرة شفى مرضى، اخرج شياطين، وهب البصر للعميان، والسمع للصم، طهر البرص وجعل العرج يمشون، وجاء ذلك موافقاً لما تنبأت به عنه انبياء العهد القديم (انظر اش ٣٢:١—٥ و٣٥:٣—٦ و٤٢:١—٧ و٦١: ١ و٢ بالمقابلة مع مت ١١:٤ و٥ و١٢:١٧—٢١ و٢١:١٤) (انظر سورة آل عمران آية ٤٣) ومع انه كان له هذا السلطان العظيم الذي به فعل المعجزات الباهرة لم يعمل معجزة واحدة لفائدته الشخصية ولا انتقم من اعدائه بل عاش فقيراً وضيعاً (مت ٨:٢٠) ولم يسع في طلب المجد والشرف الزائل قط. ولما اراد الشعب ان يتوجوه ملكاً عليهم (يو ٦:١٥) لم يقبل منهم ذلك وبالجملة كانت اعماله بلا لوم وبدت حياته المقدسة تظهر لكل ذي عينين الى ان قال مرة لمقاوميه من منكم يبكتني على خطية (يو ٨:٤٦) وكل ماقالته عنه الانبياء القدماء من حيث مجيئه الاول وحياته قد تم .

واختار المسيح من بين اليهود اثني عشر رسولاً هم الذين دربهم

وعلمهم الحق واوصاهم ان يعلموا الآخرين والاساس الذي بنى عليه
تعليمه هو كونه ابن الله. وقال ما معناه ان تلك البنوة هي بمثابة الصخرة
التي سيبني عليها كنيسته (مت ١٦: ١٣—١٨) ولما عرف الرسل انه ابن
الله وانه المسيح المنتظر اخذ يعلمهم درساً آخر عظيم الاهمية الا وهو
انه ينبغي له ان يصلب ويقوم من بين الاموات لخلاص الجبلة البشرية
(مت ١٦: ٢١ ومر ٨: ٣١ ولو ٩: ٢٢). وكلما دنت ساعة آلامه زادهم
ايضاحاً بانبائهم عن موته والكيفية التي يموت بها (لو ١٨: ٣١—٣٤) وقال
لهم مرة بانه سيحتمل تلك الآلام ليس مرغماً بل بارادته حباً ببني البشر
حتى يمنحهم حياة ابدية (يو ٦: ٥١ و١٠: ١١—١٨) اذا قبلوا هبة الله
(رو ٦: ٢٣) اي ان المسيح من اجل محبته الفائقة لبني آدم ورغبته في
خلاصهم من خطاياهم سمح لليهود ان يقبضوا عليه ويسخروا به
ويلكموه ويسلموه ليد الحاكم الروماني بيلاطس والي اليهودية للجلد
والصلب (مت ٢٦: ٤٧—٢٧: ٥٦ ومر ١٤: ٤٣—ص ١٥: ١—٤١ ولو
٢٢: ٤٧—ص ٢٣: ٤٩ ويو ١٨: ١—ص ١٩: ٣٧) ويوافق ذلك ما تنبأ به
داود في مز ٢٢ واش ٥٢: ١٣ — ص ٥٣: ١٢ منذ مئات من السنين

وحكم بيلاطس على المسيح بالموت كمجرم مع انه شهد له انه
بار (مت ٢٧: ٢٤) وجرت العادة عند اليهود في ذلك الزمان ان

يطرحوا جثث القتلى المجرمين في موضع يدعى وادي ابن هنوم خارج اسوار اورشليم للحريق او طعاماً للوحوش الا انهم لما صلبوا المسيح اخذ جسده تلميذ متخفّ يدعى يوسف من الرامة رجل غني بموجب اذن من الوالي ودفنه في قبره الجديد الذي كان اعده لنفسه (مت ٢٧ ٥٧—٦١ ومر ١٥: ٤٢—٤٧ ولو ٢٣: ٥٠—٥٦ ويو ١٩: ٣٧ — ٤٢) وكان ذلك على وفق نبوة اشعياء بالضبط (اش ٥٣: ٩) حيث يصرح بانه وان يكن اليهود قصدوا ان يدفنوه مع الاشرار لانهم احصوه من جملتهم غير انه عند موته دفنه ذلك الرجل الغني في قبر على حدته وعلى ذلك قوله «وجعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته»

وكان قد تنبأ المسيح عن نفسه انه يقوم من الموت في اليوم الثالث (مت ١٦: ٢١ و١٧: ٢٣ و٢٠: ١٩ ولو ٩: ٢٢ و١٨: ٣٣ و٢٤: ٧ و٤٦) وقد كان كما قال (مت ٢٨: ١—١٠ ومر ١٦: ١—٨ ولو ٢٤: ١—٤٣ ويو ص ٢٠ و١ كو ١٥: ٤) وهذا يوافق نبوة داود في مز ١٦: ٩ و١٠ وظهر بعد قيامته مراراً كثيرة لتلاميذه مدة اربعين يوماً (اع ١: ٣) وعلمهم ان جميع ما حدث له لم يحدث اتفاقاً بل حسب مقاصد الله الازلية التي اعلنها لانبيائه القديسين منذ الدهر وعلمهم ما الغرض من آلامه وموته وقيامته (لو ٢٤: ٢٧ و٤٤—٤٩) ثم فوض اليهم ان يتلمذوا

له جميع الامم (مت٢٨: ١٨—٢٠واع ١: ٨) و بعدهذا صعد الى السماء بمرأى منهم لو ٢٤: ٥٠و٥١ واع ١: ٩متقلداً الملك الى ما لا نهاية كما انبأ دانيال (٧: ١٣و١٤و٢٧) وليملأ الارض من معرفة الرب كما كتب اشعياء (١١: ١—٩ وقد ترك لهم وعداً برجوعه منتصراً انظر مت ٢٤: ٣٠و٣١و٢٥: ١٣—٤٦ ومر ١٣: ٢٦ ولو ٢١: ٢٧ ويو ١٤: ١—٣ واع ١: ٢ و١١ ورؤيا ١: ٧و٢٠: ١١—ص٢١: ٨)

وحيث انه قد تم في شخص المسيح جميع ما انبأت به الانبياء من قديم الزمان من جهة مجيئه الاول وعمله وموته كفارة عن خطايا العالم الى غير ذلك فيكون بالحقيقة مخلص العالم الذي علق عليه ابرهيم رجاءه (يو ٨: ٥٦) وشهد له جميع الانبياء.وعدا ذلك لا يبرح من بالك إن اتمام هذه النبوات برهان قاطع على ان اسفار العهد القديم موحى بها من الله لانه من ذا الذي يعلم بالحوادث قبل وقوعها بمئات من السنين الا علام الغيوب ؟ ولا تدع الشك يخالج صدرك وتقول ربما وفقت النصارى بين نبوات التوراة واخبار اتمامها في الانجيل لان ذلك ضرب من المحال بدليل ان اسفار التوراة محفوظة بايدي اليهود وبلغتهم الى اليوم كما هي عند النصارى.واعلم ان اليهود ولو انهم رفضوا المسيح لم يتجاسروا ان يمسوا جملة او كلمة واحدة من تلك النبوات

العديدة المشيرة اليه التي تدينهم في اليوم الاخير على قساوتهم وعدم ايمانهم.

ومما تقدم علمنا ان طبيعة المسيح وعظمته ظاهرة بوضوح حتى في اسفار العهد القديم (انظر مز ٢:٧ ومز ٦:٤٥ ومز ٧٢ ومز ١١٠:١ واش ١:٦ — ١٠ مع يو ١٢: ٤٠ و٤١ واش ٦:٩ و٧ وص ٧:٢٥ — ٩ وص ٤٠: ١٠ و١١ وار ١٦:٣٣ ومي ٢١٥ ومل ١:٣ وص ٢:٤ الخ) وبناء على ما جاء في سفر ميخا وهو قوله «مخارجه منذ القديم منذ ايام الازل» (مي ٢:٥) يكون حقاً ما قاله المسيح عن نفسه «قبل ان يكون ابرهيم انا كائن» (يو ٥٨:٨) ولاحظ هنا انه اسند الى نفسه هذه الصفة «كائن» وهي من اخص واشهر اسماء الله (خر ١٤:٣) ومن هنا نعلم انه هو بنفسه الذي دعا ابرهيم من بابل وانزل التوراة على موسى وبعث الانبياء والرسل. وعليه فلا تحسب ان الانجيل يرفع مقام المسيح اكثر مما ترفعه التوراة بل كلا العهدين يتفقان على عظمة ذاته وسمو صفاته راجع هذه الشواهد (مت ١٦:٣ و١٧ و١٦: ١٥—١٧ و١٧: ١—٨ و٢٦: ٦٣ و٦٤ و٢٨: ١٨ ولو ١: ٣٢ و٣٥ ويو ١: ١—٣ و٩— ١٨ و٥: ١٧—٢٩ و٨: ٢٣—٢٩ و٤٢ و٥٦—٥٨ و٩: ٣٥— ٣٧ و١٠: ٢٧—٣٨ و١٤: ٩— ١١ و١٦: ١٢ — ١٥ و٢٨ و١٧: ٥ و٢١ وكو ١: ١٢ —٢٣ وفي ٢: ٥— ١١ وعب ١ ورؤ ١: ٥— ١٨ و٢١: ٦— ٨ و٢٢: ١٣ و١٦)

وعلى ما تقدم اذا رفض اخواننا المسلمون دعوتنا اياهم ان يقبلوا المسيح مخلصاً لهم (يو ٥: ٤٠) يكون من الاسباب الداعية لهم الى الرفض عدم تصديقهم ذات كلامه الذي قاله عن نفسه والذي قالته عنه الانبياء السالفون .

ثم يجب ان لا ننسى انه من المحال ان يخلص المسيح العالم من الخطية ومن بغضهم لله لو كان مجرد مخلوق من مخلوقات الله ولو كان رئيس الملائكة لان الخلاص يتوقف على الثقة الكاملة فيه وقد استحق هو هذه الثقة بما اعلنه عن حقيقة شخصه وما شهدت به له اسفار العهد القديم والجديد .

فليس الاعتقاد بلاهوت المسيح اذاً فساداً لحق النصرانية بل هو جوهر الدين الحق. لانه لو فرضنا ان المسيح بسموه كان مخلوقاً لا يمكن ان يتخذ صلاحه وآلامه من اجلنا دليلاً على محبة الله لنا بل بعكس ذلك تخالجنا الشكوك في محبة الله العظيم ونعمته لانه اسلم افضل مخلوقاته واكرمها ليقاسي هكذا آلاماً واحزاناً. ولكننا ان قبلنا تعليم الكتاب المقدس واعترفنا ان «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (٢كو ٥: ١٩) واقتنعنا انه هو والله واحد (يو ١٠: ٣٠) حينئذ يتيسر لنا ان نفهم الى حدٍ ما حقيقة تعليم الثالوث ومحبة الله العظيم لنا

واعتنائه بنا[١]. فحينئذ نرى ان البشارة وجوهر الكتاب المقدس كله متضمن في هذه الآية (يو ٣:١٦) التي تحتج الى قلوبنا وضمائرنا احتجاجاً لا يقاوم فتجذبنا الى محبته وتخصيص ذواتنا لخدمته لانه احبنا اولاً (١ يو ٤:٩)

غير ان تسمية المسيح في هاتين الآيتين بابن الله كان حجر عثرة في طريق كثير من المسلمين فتصدعت قلوبهم وانصرفت عن النظر الى محبة الله المعلنة فيهما. وذلك لانهم ظنوا ان هذه التسمية مخالفة على خط مستقيم لما ورد عندهم في القرآن في سورة الاخلاص. والحقيقة هي انهم أساءوا فهم ما عناه الانجيل بهذه التسمية. فاننا معشر المسيحيين ننكر بملء افواهنا ان الله اتخذ ولداً بالمعنى الذي انكره القرآن اي انه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. ومَن من النصارى يتجاسر ان يجدف على الله بهذا المقدار حتى ينسب اليه تعالى التناسل الحيواني كما زعم الوثنيون والجاهلية من العرب الذين جعلوا لله بنات تعالى الله عن زعمهم. ومع ذلك قد تسمى المسيح في الانجيل ابن الله لا ولده والفرق بين الابن والولد ظاهر لان كلمة ابن كثيراً ما تستعار لمعنى مجازي واما كلمة ولد فلم تستعمل الا بحسب وضعها .

---

(١) انظر الفصل الآتي

واعلم ان الكتبة المسيحيين الذين كانوا قبل الهجرة بمئات سنين قد انكروا كل الانكار قول الوثنيين المذكور وبينوا المعنى الحقيقي المتضمن في كون المسيح ابن الله فان كاتباً من اوائل القرن الرابع اي قبل الهجرة باكثر من ثلثمائة سنة اسمه لاكتنتوس قال ان سمع احد هذه العبارة «ابن الله» فلا يخطرنّ على باله هذا التصور المتناهي في الفظاعة اي ان الله انتج ولداً بزواجه واتحاده بانثى فان فعلاً كهذا لا ينطبق الا على ذوي الاجساد الحيوانية ولكن الله روح غير محدود وهو واحد فبمن يتحد ؟ فهذه البنوة خاصة لا عامة ازلية لا حادثة تدل على وحدة الجوهر بين الآب والابن .

على ان المسيح لم يتسم بابن الله فقط بل تسمى بكلمة الله ايضاً كما في يوحنا ١:١و١٤ ورؤ ١٩:١٣ (قابل لقب كلمة الحياة ١يوحنا١:١) والاسمان كلاهما يؤديان ذات المعنى الا ان الاسم الاول استعمل اكثر لسببين (١) لافادة البسطاء وهم الاكثر الذين لا يقدرون ان يفهموا الاسم الثاني «كلمة الحياة» (٢) لتنبيه افهامنا الى شخصية او اقنومية ذلك الكائن المسمى بابن الله والى المحبة العظيمة بين اقانيم اللاهوت (قابل يو ١٥:٩ و١٠ مع ١٧:٢٣ و٢٦)

ومع هذا كله فانه لا الاسم الاول ولا الثاني كاف لايقافنا على

كنه مسماهما بل اللغة كلها عاجزة عن التعبير عن ذات ذلك الكائن العجيب الا اننا لسنا مخطئين اذا استعملنا للدلالة عليه ذينك الاسمين اللذين دونهما الكتبة الاطهار بالهام روح الله القدوس. لان العلاقة بين اقنوم وآخر من اللاهوت فوق عقولنا كما ان البحر العظيم لا يمكن ان ينحصر في اناء. ولكن قليل من مائه يطلعنا على طبيعته ومثل ذلك تسمية المسيح «بابن الله «وكلمة الله» نستدل منها حسبما يستطاع على طبيعته الالهية ووحدانيته مع الآب (يو ١٠:٣٠)

وعليه فبالايمان فقط بما قاله المسيح في هذا الصدد نقدر أن نفهم تعليم الكفارة وطريق الخلاص بالمسيح الذي قال «ليس احد يأتي الى الآب الا بي» (يو ١٤:٦ بالمقابله مع اع ٤:١٢)

ثم ان العهدين القديم والجديد لا يتفقان كلاهما على وصف المسيح بالاوصاف الالهية فقط بل يتجاوزان ذلك الحد حتى انهما يدلان على لاهوته بالقول الجلي الصريح فيسميانه «الله» ومن امثلة ذلك ما ورد في (مز ٤٥:٦ و٧ واش ٩:٦ ويو ٢٠:٢٨ و٢٩ ورو ٩:٥ وعب ١:٨ و١ يو ٥:٢٠)

من يقابل في هذه الآيات وامثالها باهتمام مشفوع بالصلاة يدرك ان تلك الالقاب الرفيعة العظيمة نسبت الى المسيح لا عن

سبيل المبالغة ولا المجاملة بل لاظهار حقيقة جوهرية ينبغي لبني البشر معرفتها. ولا يخفى على المسلم المطلع ان القرآن ايضاً قد يتفق مع التوراة والانجيل في تسمية المسيح «كلمة الله» وان اذن الله نفيض الشرح في هذا الصدد في كلامنا على الثالوث الاقدس .

وهنا نرجو القارئ الكريم ان يطرح التعصب الذي يغشى بصيرة الطالب فيعميه عن معرفة الحق جانباً لماذا لا يصدق المسلم شهادة التوراة والانجيل والقرآن وكلها تتفق على نقط هامة ومن بينها موضوعنا ان المسيح «كلمة الله» وان الله واحد .

اعلم ان «كلمة الله» اسم لمسمى او علم لاقنوم الهي كان من البدء اي من الازل عند الله وبه خُلق كل شيء (يو ١:١—٣) وقد صار انساناً وظهر بين الناس كواحد منهم (يو١: ١٤ وفي ٢: ٥—١١) وكان يأكل ويشرب وينام ويستيقظ وشاطر الناس في احزانهم وافراحهم واختبر تجاربهم لكنه لم يخطئ بل لم يعرف خطيئة (عب ٤: ١٥) قابل ٧: ٢٦ و١ بط ٢: ٢١—٢٥) فهو انسان تام ذو جسد ونفس وروح وذلك باجماع البشائر الاربع وبشهادته هو عن نفسه مراراً كثيرة انه «ابن الانسان» وهذا اللقب عدا دلالته على ناسوته يذكرنا بما تنبئ عنه في (تك ٣: ١٥ ودا ٧: ١٣) وفوق ذلك يذكرنا انه مخلص

الجبلة البشرية والوسيط الوحيد بين الله والناس وانه الانسان الكامل المعصوم من الخطيئة .

كانسان صلى الى الله ابيه وصام الى غير ذلك مما لا يدع مجالاً للريب في ناسوته لكنه كما هو انسان تام هو اله تام ايضاً واكد لاهوته اذ دعا الله اباه مخبراً بانقياده له كابن ينقاد لابيه وانه مرسل منه كابن مرسل من ابيه قال «لاني قد نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني» (يو ٦:٣٨) وقال «الآب الذي ارسلني هو اعطاني وصية ماذا اقول وبماذا اتكلم» (يو ١٢:٤٩) وقال «ابي اعظم مني» (يو ١٤:٢٨) ومع ذلك دفع ما عساه يخطر على بال احد من ان لله شركاء باقوال قاطعة جازمة تفيد وحدانية الله (مر ١٢:٢٩ ويو ١٧:٣) ووحدانيته هو مع الله (يو ١٠:٣٠ و١٧:٢١) .

هذا المدعو «كلمة الله» «وابن الله» «وابن الانسان» «والرب يسوع المسيح» قيل عنه في التوراة «لكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها... مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا» (اش ٥٣:٤و٥).وان كان بالطبيعة «كلمة الله» غير انه لم يبال بسمو طبيعته الالهية متخلياً عن مجده الاسنى الذي كان له عند ابيه قبل كون العالم (يو١٧:٥) «آخذاً صورة عبد صائراً في شبه

الناس واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله ايضاً واعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في٢:٧—١١) ·

وان سأل سائل كيف يمكن ان تتحد الطبيعة الالهية بالطبيعة البشرية نقول« كيف يمكن ان تتحد في الانسان الروح بالجسد والباقي بالفاني فمهما يريده الله كلي القدرة الخالق العظيم الضابط الكل يكون» وعدا ما ذكر يعلمنا الانجيل ان العلاقة بين ناسوت المسيح ولاهوته علاقة الاتحاد فقط بحيث لم تتحول الطبيعة الواحدة الى الاخرى ولا امتزجت او اختلطت بها. حقاً ان علاقة كهذه تفوق عقولنا المحدودة ولا نعرفها الا من وحي الله في كلامه المقدس . وكان هذا الاتحاد في ناسوت ولاهوت المسيح لاتمام مقاصد الله الازلية بان يغمر الانسان بفيض نعمته منقذاً اياه من الهلاك والخطية وعبودية ابليس ويصالحه مع الله تعالى ويؤهله للتمتع بالسعادة الدائمة في حضرته. واذ فدانا يسوع بدمه من كل امة وقبيلة وشعب ولسان (رؤ ٥:٩) صار لنا اثناء حياة تضحيته التي عاشها على الارض مثال الكمال والطهارة

والقداسة كي نقتدي به ونتبع آثار خطواته (يو١٣: ١٥و١ بط٢: ٢١)

وقد يعترض بعضهم بقوله ألم يكن مستطاعاً لله ان يخلص الانسان من عذاب جهنم باجراء سلطانه المطلق ويعلن رحمته لمن يرحمهم بدون طريق الخلاص المعلنة في الانجيل أليس هو الذي يقول لما يشاؤه كن فيكون؟ فالاجابة عن ذلك نقول ان هذا السؤال ناتج من سؤ فهم حالة الطبيعة البشرية واعوازها الروحية ومن عدم معرفة قداسة الله .

ان الخطية فضلاً عن كونها مضادة ومكروهة لطبيعة الله هي متلفة لطبيعة الانسان الاصلية الروحية التي كانت على صورة الله (تك ١: ٢٦ و٢٧) والخطية تمنع بتاتاً امكانية تمتع الانسان بالسعادة الابدية الا اذا نجا منها . من السهل أن يذهب أهل النار الى الجنة بامر الله ولكن كيف يطهر القلب والعقل والضمير من ذلك البرص الخبيث الذي يزداد سريانه يوماً فيوماً حقاً ان الخطيئة شر من البرص لانها برص الروح. الموت ينقذ الانسان من برص الجسد ولكنه لا ينقذه من برص الروح فمن اين تكون سعادة في الدار الاخرى لمن روحه برصاء اليس بالاحرى ان تشويه صورته وفساد هيئته يثير فيه عوامل الحزن والحسد حتى يبغض نفسه ويبغضه الآخرون وبالاحرى جداً

يبغضه كلي القداسة الذي يكره ويمقت الخطية .

واعلم ان شريعة موسى كانت تمنع الابرص بجسده أن يدخل محلة اسرائيل (لا١٣: ٤٥ و٤٦) أو يعاشر رفقاءه فكم بالاولى ممنوع من هو ابرص الروح والقلب ان يدخل فردوس النعيم ويتمتع بلقاء الله القدوس رب الارباب قال الكتاب « لن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً الا المكتوبين في سفر حياة الخروف (رؤ ٢١ : ٢٧) وحتى برص الجسد يعجز المريض به ان يشفي نفسه منه وتعجز الاطباء ايضاً عن ذلك. أما المسيح فشفى كثيرين من المرضى به وهو قادر أن يطهر برص الروح ايضاً الا انه ما طهر قط ابرص بالرغم عن ارادته وكذلك لا يطهر ابرص الخطية بالقوة او بغير ارادته ان الرجل الذي لم يشبع من الانغماس في حمأة الفجور في هذه الحياة قد فسدت روحه واظلم ذهنه حتى لقد يصبح منتهى السعادة في اعتباره ان تكون الابدية اوقيانوس فجور يسبح فيه الى ما لا نهاية فمثل هذا مضروب بالبرص الروحي وان يسوع المسيح وحده هو القادر أن يطهر هذا البرص لكنه لا يفعله بغير ارادة المريض ولا يشفى منه الا اذا تاب توبة صادقة وآمن بالمسيح ايماناً صحيحاً وصرخ مع داود «قلباً نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي» (مز ٥١: ١٠) فان

تطهير البرص الروحي عبارة عن تجديد القلب والروح من محبة الخطية ويعيدها الى جمال القداسة التي اتلفتها الخطية. وكيف يكون ذلك؟ يتم الله دائماً عمله بوسائط. وقد أخبرنا الكتاب المقدس عن الواسطة التي اختارها الله لاتمام غرضه بان شاء أن يعلن ذاته في شخص يسوع المسيح «كلمة الله» ويظهر محبته للناس بان يحمل آلامهم ويشاركهم في احزانهم بواسطة طبيعة المسيح البشرية التي مات بها على الصليب للتكفير عن خطاياهم حتى يجتذب قلوبهم اليه ويسبيهم بمحبته الفائقة كي يكرهوا الخطية ويثيروا عليها حرباً عواناً وحتى يتم لهم النصر الباهر. هذا ما يدعوه الكتاب بالطبيعة الجديدة التي تتولد في كل مؤمن حقيقي بيسوع هذا هو القلب النقي والروح المستقيم الذي لج في طلبه داود كما ذكرنا وعلى هذا المنهج يخلق الله الخاطىء من جديد وعلى ذلك قوله «ان كان احد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢ كو ٥: ١٧)

لا نقدر نقول ان لا طريقة عند الله غير هذه لخلاص الجبلة البشرية من الخطية الا انه من المؤكد الذي لا شك فيه ان هذه هي الطريقة الوحيدة التي شاء الله ان يستعملها وشاء ان يعلنها في كتابه المقدس (مت ١: ٢١ ويو ١٤: ٦) ولا يمكن وجود طريقة تجمع بين عدله ورحمته الا هذه .

وبما انه لم يفهم بعضهم تعليم الكفارة (رو ٥:١١) فيحسن بنا هنا ان نشرحه بايضاح مع ملاحظة الايجاز على قدر الامكان . نعني بالكفارة المصالحة بين الله والانسان. من المعلوم انه قد سقط الانسان من الحالة التي خلقه الله عليها وباجرامه بخطية آدم أولاً وبخطيته الفعلية ثانياً فقد الحياة الابدية ونفي من جنة عدن (تك ٣:٣) واعلم ان الحياة الابدية متضمنة في معرفة الله بواسطة المسيح (يو ١٧:٢) فلاجل اعادة تلك الحياة للذين فقدوها عليهم أن يقبلوها من الله واهب الحياة يسوع وعلى ذلك قوله «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس (يو ١:٤ و ٥:٢٦ وكو ٣:٤ و ١يو ٥:١٢) وتعطى الحياة بالمسيح وحده لا سواه (اع ٤:١٢) وكيفية ذلك كما نعلم من الانجيل انه يتحد بالمؤمنين وهم يتحدون به بالايمان كما تتحد أغصان الشجرة باصلها والاصل بالاغصان (يو ١٥ : ١—٦) وعلى هذا المنوال تجري فيهم طبيعته القدوسة وسجاياه الكاملة. وشبه ذلك الاتحاد بالاشتراك في جسده ودمه (يو ٦: ٤٠ و ٤٧ و ٤٨ و ٥١—٥٨ و ٦٣) وكأنه اذ تسربل طبيعة البشر كانسان صار رأساً جديداً للجنس البشري أو بعبارة الكتاب آدم الثاني وروحاً محيياً ونائباً عن البشر (يو ١:١٤ و ١كو ١٥: ٢٢ و ٤٥) فالذين يتحدون به بالايمان (غل ٢:٢٠) يأخذون سلطاناً ان

يصيروا اولاد الله (يو١: ١٢و١يو٣: ١—٣و٤: ٩) بفاعلية الميلاد الثاني الصادر من السماء بروح الله القدوس (يو٣: ٣و٥) فنموت مع المسيح عن الخطية ونحيا به من جديد للبر (رو٦: ١—١١)

ولاجلما يخلص الانسان من الموت الابدي الذي تسبب عن الخطية كنتيجة طبيعية وعقوبة شرعية (تك٣: ٣وحز١٨: ٢٠ ورو ٦: ٢٣) يجب انه كما عصى وصية الله عن اختيار (تك٣) يطيعها تماماً باختياره ايضاً.واذ صار ذلك المسمى «كلمة الله» انساناً كاملا فقد تمم الوصية لانه أطاع حتى الموت موت الصليب (في٢: ٧و٨قابل رو٥: ١٩) وبموته الثمين عنا وهو لم يعمل خطية قط قدم حياته فدية عن كثيرين (اش ٥٣: ٥و٦ ومت٢٠: ٢٨ ورو٣: ١٥ و٤: ١٥ و٥: ٨—١١ و١بط ٢: ٢٤) يصح أن يقال ان المسيح حمل قصاص خطايانا (اش ٥٣: ٨) ولكنه لم يكن مذنباً لاننا نعلم انه ليس فيه خطية البتة (١يو٣: ٥) بل يصح أن يقال ايضاً وهو عين الواقع ان كل ما احتمله من الآلام كان بسبب خطايانا وبواسطة آلامه كل الذين يؤمنون به ايماناً حقيقياً يخلصون من الخطية ومن نتيجتها النهائية المزعجة التي هي البعد عن حضرة الله او الموت الابدي. فاذا كان المسيح مجرد انسان

كانت طاعته حتى الموت غير كافيـة لتخليص أحد غير نفســه وما كان قادراً أن يمنح حيلة روحية للغير .

واما اذا كان إلهاً كما هو انسان فيقدر ان يخلص ويمنح حياة ابدية لجميع الذين يؤمنون به (يو ٥:٢٦) ان الله لايموت ويستحيل ان يموت ولكن «كلمة الله» اذ صار انساناً جاز بحسب طبيعته البشرية ان يذوق الموت من اجل كل واحد (عب ٢:٩) وقد مات من اجلنا (رو ٤:٢٢٥و٦:١٠) وقام ثانياً منتصراً على الموت وكاسراً شـوكته (٢تي ١:١٠) بل وواهباً الحياة لـكل من يتحد به بالايمان (يو ٣:١٦ و ١١ : ٢٥ و ٢٦)

وقد قلنا ان الله يكره الخطية حتماً لانه قدوس بالطبيعة ونحن لا سبيل لنا ان نغلب الخطية المكروهة منه الا باعلان محبته تعالى في المسيح يسوع الذي نحبه لانه احبنا اولاً (يو ٣ : ١٦ و ١ يو ٤:١٩) وبهذه المحبة الحاضرة نستطيع أن نحبه و نعيش طبقاً لارادته بمساعدة نعمة روحه القدوس وهكذا نكون صالحين الى حد ما في هـذه الحياة وصالحين تماماً بعد الموت (٢كو ٥ : ١٤)

فبموت المسيح على الصليب نتحصل على فائدتين الاولى الخلاص من الموت الابدي والثانية النعمة التي بها نكره الخطية و ننتصر عليها

(رو٦:٥—١١ وغل ٢:٢٠ و٦:١٤ وكو٣:١—١٧ وايو١ : ٧) لانه قد افتدانا من عبودية الخطية (مت ٢٠:٢٨ و١كو١:٣٠ واف ١ : ٧ و١بط١:١٨—٢١) وقدم الكفارة الوافية الحقيقية عن الخطية(عب ٢:١٧ و١يو٢:٢ و٤ : ١٠) وتلك الكفارة هي التي كانت ترمز اليها ذبائح وقرابين العهد القديم .

وان ضميرنا الذي يبكتنا على خطايانا ويهددنا من حين الى آخر بغضب الله لهو دليل قاطع على عظم حاجتنا الى المصالحة مع الله واذ كنا في حد ذواتنا عاجزين عن تقديم الكفارة المرضية الكاملة قد كفانا الله مؤونة ذلك وقدمها هو عز وجل على حسابنا في شخص يسوع المسيح الذي هو انسان كامل كما هو اله كامل. ونعلم من موت المسيح مقدار فظاعة الخطية وسؤعاقبتها لانها أدت الى اعظم جرم تقشعر من هوله الابدان الى قتل ابن الله الوحيد وان محبة الذات والارادة كانت المحرك لآدم الى المعصية التي انتجت هذا الجرم العظيم. فيلزم تضحية الذات التي هي اصل الخطية وهذا ما فعله يسوع بموته على الصليب لانه ضحى ذاته وضحى مشيئته لحياة العالم. واعلم ان استحقاق موته الموجب للتكفير عن خطايانا لا يترتب على آلامه بالجسد وان كان بالغاً الحد بل على ذبيحة محبته غير المحدودة. تلك المحبة التي جعلت

القدوس يموت بمحض اختياره عن الاثيم الفاجر (يو١٠:١٧و١٨) فهو نائبنا الذي وفى عنا مطالب العدل الالهي القاضي علينا بحكم الموت (حز١٨ : ٢٠) .

فماهية ذبيحة المسيح هي في تسليمه نفسه بارادة حرة وتقديمه طاعة كاملة حتى الموت اكثر منها في حقيقة الموت ذاته .

وبالجملة تألم المسيح الى الحد الذي في وسعه أن يحتمله في ناسوته المتحد باللاهوت فلم يتألم في جسده فقط بل في ذهنه وروحه لان حزنه على خطايا الناس كسر قلبه المحب (يو ١٩:٣٤). واذ كان واحداً مع ابيه فقد استه ومحبته للناس قادتاه أن يشعر بفظاعة خطايانا اذ شاركنا في البشرية وأحس بهول اللعنة التي ينبغي ان تصدر من الله القدوس ضد الخطية ولهذا ذاق الموت من اجل كل واحد (عب٢:٩) بطريقة خاصة لا يمكن يعلمها إلا من كان قدوساً مز٢٢:١ ومت٢٧:٤٦ ومر ١٥:٣٤ وبهذه الكيفية اظهر الله محبته وعدله ورحمته مرة واحدة .

الذي مات على الصليب بناسوته كان الهاً تاماً كما كان انساناً تاماً وبما انه حمل خطايانا ومات عنا نحن الاثمة فالذين يتحدون معه بالايمان كاتحاد الاغصان بالكرمة (يو١٥:٤و٥) ينالون غفران خطاياهم ويعتقون من خوف الموت (عب٢ : ١٤و١٥) لان شوكة الموت هي الخطية

(١كو١٥:٥٦) التي تلقي في قلوب غير المغفور لهم الرعب العظيم من غضب الله المخيف. واما كون ذبيحة المسيح حازت القبول عند الله فيدل عليه قيامته من الاموات وصعوده للسموات (رو١:٤ولو٢٢: ٥١) ليظهر امامه لاجلنا نيابة عنا (عب٩:٢٤) وعودته الى المجد الذي كان له عند أبيه قبل كون العالم (يو١٧:٥)

ولنشرح الآن بعض البركات الناتجة عن الكفارة التي قدمها يسوع اولاً : ان الله اكراماً له يغفر خطايا وتعديات المؤمنين به الحقيقيين (رو٥:٥—٢١ واف١:٣—٧ وعب١٠:١—١٥ و١يو١:٧) ثم لاجل المسيح يمنحهم نعمته الخصوصية ونور هدايته السماوية حتى يدركوا حالتهم الداخلية ويعرفوا معرفة عميقة الاله الحق ويملأ قلوبهم بمحبة من احبهم اولاً بحيث يقدرون ان يحفظوا وصاياه ويثبتوا في حالة نقاوة القلب ويعرفون الحق (يو٨:٣١ ورو٥:٥ و٨:٥ و١كو ١:٤و٥ و٢كو٤:٦ واف١:١٥—٢٣ وفي٤:١٣ وكو٢:٣ وتي٢:١١— ١٤ وعب٩:١١—١٤) ومن فوائد الفداء ايضاً العتق من عبودية الشيطان ومن محبة الخطية والفوز بميراث السعادة الدائمة (رو٨:١٢— ١٧و٢تي١:٩و١٠وعب٢:١٤و١٥و١بط٢:٣ - ٩)

وحيث ان الخلاص مقدم في المسيح للخطاة فهو امر ثمين وعظيم

يطهر به الناس من نجاسات الخطية حينئذ يفتح الله لهم خزائن بركاته واحساناته فينير اذهانهم ويقدس قلوبهم وفي الختام يأخذهم الى فردوس نعيمه ليتمتعوا بالحياة الابدية. فقد ظهر الآن كالشمس في رائعة النهار ان تعليم الانجيل لمشبع لاشواق القلب مغن لطلبات النفس كما بينا في المقدمة وعليه يكون الكتاب المقدس كلام الله أوحي به لسعادة البشر.

فان سمع احد بشارة الخلاص ورفضها يكون ولا شك سبب رفضه عدم رغبته في التوبة عن الخطية وعدم معرفته حالة قلبه الاثيمة في اعتبار الله وان كان احد لا يكترث بالخطر الذي يسرع به للهلاك الابدي فهيهات يسعى في معالجة برصه الروحي بالدواء الذي وضعه طبيبنا العظيم

اما الانسان الحريص المحاذر من حالة قلبه الاثيمة يعلم ما للخطية من البغض في نظر الله القدوس ويشعر بهول الخطر الذي ينذره بالهلاك الابدي بسبب خطاياه. وبما انه غير قادر ان يكفر عنها من عند نفسه يبادر أن يسمع بشارة الخلاص الذي اقتناه المسيح بدمه الكريم من أجله ومن اجل كل الذين يؤمنون به . ان خبراً كهذا يلذ سمعه في اذنيه اكثر من اية بشارة أخرى على وجه الارض بشارة الخلاص المجاني بلسانٍ يشفي القلوب المكسورة من ثقل حمل الخطايا ومرهم

يعصب جروح النفس المزمنة. اذا احب المرء الخطية وكان متفانياً في حب الشهوات الجسدية لا شك انه يبغض النور المعلن في الانجيل كما يبغض الخفاش نور الشمس ويهرب من اشعتها الجميلة اللامعة الى مغائر الظلمة فمثل هذا جدير به ان يطرح في الظلمة الخارجية التي احبها اكثر من النور (يو ٣: ١٩ — ٢١).

ويستحيل عليه ان يفهم كثيراً أو قليلاً من الامور الروحية حتى انه يرى الانجيل كأنه جهالة وحماقة كما رآه هكذا قدماء اليونان (١ كو ١: ١٨ — ٢٥ و٢: ١٤) في حين ان الرجل الراغب في معرفة الحق بجدّ وعملَ ارادة الله تقع في نفسه بشارة الخلاص واعلان محبة الله موقع القبول والاستحسان وتفيض كينبوع حي يروي قلبه الظمآن في سفره في صحراء الحياة الدنيا.

ترى في طريق الخلاص قد اعلن الله محبة ورحمة مقترنة بعدل وقداسة بكل وضوح. اما محبته الفائقة فقد ظهرت ببذله ابنه الوحيد بهاء مجده ورسم جوهره لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية. فهذا التعليم الذي لا يقدر بثمن يكشف لنا الحجاب عن صفات الله الجليلة التي اعظمها المحبة حتى اذا حملنا بتيار محبته نجتنب الخطية اذ هي مكروهة لديه لانه قدوس ونحفظ وصاياه سالكين في

طريق الايمان في المسيح المؤدي للحياة الابدية .

ومن يتأمل في احوال الخليقة يظهر له ما يشبه طريق الخلاص فان الله فطر كثيراً من خلقه على تضحية الذات على مذبح المحبة الطبيعية مما يصح ان يتخذ مثالاً لا لآلام المسيح لاجلنا. ترى الاب يخاطر بحياته ويعاني الشدائد ويذوق المرارة لاجل قوت عياله وكسوتهم وترى الطبيب الامين يعرض نفسه للخطر والموت لخلاص حياة العليل حتى الطيور فانك ترى الدجاجة تحضن فراخها وان سطا عدو على فراخها تحاربه وتحمل الاذى عنها والعصفور يقع في مواضع الخطر ليلتقط الحب لفراخه الصغار ويقاسي عناء لا مزيد عليه في دفع الشر عنها. فلماذا لا يكون معقولاً أن فاطر المحبة الطبيعية هو محب اعظم من كل ذلك فانه اعلن محبته على منهج الضحايا فبذل ابنه الوحيد الذي هو واحد معه ليموت على الصليب في سبيل خلاص الانسان المسكين ولكن «من لا يحب لا يعرف الله لان الله محبة» (١ يو ٤:٨)

وعليه فالايمان بالمسيح الذي احبنا واسلم نفسه لاجلنا هو الدواء الوحيد الذي وصفه الله العليم الحكيم لبرص الخطية فكل من يثق في حكمة الله وعامه فليستعمل هذا الدواء وحينئذ يعلم بالاختبار ان كان المسيح مخلصاً ام لا لان الشفاء من المرض دليل قاطع على حسن

الدواء وجودة تأثيره ومتى برئ الخاطئ من مرضه وعلم بالتحقيق ان المسيح مخاص يشكر فضله ويعلم ان الكتاب المقدس حق.

الفصل الخامس

في التعليم باله واحد في ثلاثة اقانيم

ما قيل في الفصل المتقدم عن طريق الخلاص بالمسيح لا يقبل عند الطالب كل القبول حتى يطلع على عقيدة التثليث التي طالما كانت حجر عثرة في طريق اخواننا المسلمين الراغبين في البحث وذلك لانهم لا يفهمون معنى هذا التثليث ولذا عدوه مناقضاً للتوحيد والحقيقة خلاف ذلك لان التعليم بوحدانية الله من الاساسات الجوهرية التي ترجع اليها عقيدة التثليث فان جميع المسيحيين لا يؤمنون بثلاثة آلهة بل باله واحد.

من يطلع على تفسير جلال الدين على (سورة المائدة آية ٧٦) وتفسير البيضاوي ويحيي على (سورة النساء آية ١٥٦) يرى ان اولئك المفسرين تصوروا ان النصارى يعتقدون ان الثالوث هو ثلاثة آلهة الآب والام والابن وحسبوا مريم العذراء الهاً وانها احد الآلهة الثلاثة المذكورين. لا ننكر ان بعضاً من جهلة النصارى في عصر محمد

اكرموا مريم الى حد العبادة بل اكرموا كثيراً من القديسين وقدموا لهم العبادة التي لا تجوز الا لله وحده كما ان كثيرين من جهلة المسلمين يفعلون مثل هذا الفعل مع اوليائهم ومشائخهم مما هو غني عن البيان وكما ان المطلعين من المسلمين لا يجدون ما يؤيد عبادة الاولياء في القرآن كذلك لا يصح ان نؤاخذ معاشر النصارى بما كان يعمله الجهلة في العصور المظلمة مما لا ينطبق على الكتاب المقدس بل يخالفه على خط مستقيم فلا تحسبن القرآن يحرم عبادة العذراء والكتاب المقدس يجيزها حاشا وكلا بل هـذا الذي ظنه المسلمون تثليثاً في ذات الله ليس هو من التثليث في شيء فان المسيحيين على اختلاف مذاهبهم لم يقل فريق منهم بثلاثة آلهة[١].

وعلى ما تقدم يظهر ان هؤلاء المفسرين اضلهم التعصب الذميم حتى دونوا في كتبهم عن النصارى ما هم ابرياء منه وكان خليقاً بهم كما بكل عالم فاضل انهم اذا ارادوا ان يكتبوا شيئاً في موضوع هام كهذا ان يبحثوا او ينقبوا حتى يقفوا على الحقيقة بعينها لئلا يكونوا عثرة في طريق الباحث الامين. اننا كما ذكرنا لا نعتقد بثلاثة آلهة ولا ان

---

(١) وعلى ذلك نطلب من القارئ مراجعة دستور الايمان الرسولي والقانون النيقوي والقانون الاثناسيوسي وقانون الكنيسة المصلحة

مريم واحدة منهم واننا نشدد انكار تعدد الآلهة كالمسلمين انفسهم وستعلم ذلك عند ما نتقدم في شرح الموضوع .

ذكرنا في ماتقدم اننا نؤمن باله واحد كما في التوراة حيث يقول «اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد» (تث ٦:٤) وفي العهد الجديد اقتبس المسيح هـذه الآية اساساً لتعليمه (مر١٢:٢٩) واما عقيدة التثليث فما هي الا شرح للوحدانية ذكرت لمناسبة التعاليم في مواضيع اخرى .مثال ذلك لما اوصى المسيح تلاميذه ان يكرزوا بالانجيل للناس قال «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨:١٩) فيدل هـذا القول على حقيقة التوحيد كما يدل على تثليث الاقانيم لانه قال «باسم» بصيغة المفرد لا الجمع مع انه ذكر الاقانيم الثلاثة كلا على حدته.ومن هذه العبارة نفهم انه لا يمكن ان يكون الابن والروح القدس مخلوقين بدليل انهما مقرونان باسم الآب كشيء واحد بخلاف عدم ملاءمة الاسم نفسه لما يكون مخلوقاً فان كلمة «ابن الله» «والروح القدس» لا يصح ان يسمى بهما الشيء المخلوق هذه حقيقة ظاهرة لمن يتأمل

وعقيدة التثليث يمكن تلخيصها على هذا المنوال

(١) الآب والابن والروح القدس جوهر واحد واله واحد فقط.

(٢) كل من هؤلاء الاقانيم الثلاثة له خاصة لا يشترك فيها معه اقنوم آخر .

(٣) ان انفصل اقنوم عن الاقنومين الآخرين وذلك مستحيل لا يمكن ان يكون هو الله .

(٤) كل اقنوم متحد مع الاقنومين الآخرين من الازل وهذه الوحدة غير القابلة للانفصال هو الله .

(٥) كل اقنوم مساوٍ للاقنومين الآخرين في الذات والمجد

(٦) العمل الخلاصي لكل اقنوم وصف احسن وصف في الكتاب المقدس بهذه الالقاب الاول «الآب والخالق» والثاني «ابن الله والفادي» والثالث «المقدس والمعزي»

(٧) كما ان الاقانيم المقدسة واحد في الذات هكذا هم واحد في المشيئة والقصد والسلطان والقدم وسائر الصفات الالهية .

اما قول المسيح «ابي اعظم مني» في يو ١٤:٢٨ فهذا بالنسبة الى ناسوته لانه يعبر عن وحدته مع الآب في الذات بقوله «انا والآب واحد» (يو ١٠:٣٠) وقد يعترض بعضهم بان هذه العقيدة المسيحية متناقضة وبما ان اعتراضهم خطأ ظاهر نجيب ان التثليث ليس خطأ بل هو سر عجيب ويجب ان ننتظر اسراراً كثيرة في الكتب

المقدسة وخصوصاً ما يتعلق بجوهر الله اذ لو خلت حقيقة الله من الاسرار لادركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الاشياء المحدودة وهذا محال لان السر هو ان لا تعرف كيف يكون ذلك الشيء مع انك عارف انه كائن مثال ذلك لا تعرف كيف ينمو الزرع مع انك تعرف انه ينمو والعالم مملوء من الاسرار والانسان سر في نفسه فانه لا يقدر أنْ يعرف كيف تسكن روحه في جسده وكيف تدبره فهل تؤخذ هذه البراهين على بطلان الحقائق؟ لوكان الامر هكذا لكان كل شيء باطلاً . والكتاب المقدس أحق واولى بان يتضمن أسراراً غامضة تحار في معرفة كنهها فطاحل العلماء فهل من الصواب والحكمة ان نرفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا ونستبد بآرائنا الخصوصية ؟ : فاحكموا انتم

كل مطلع خبير بالكتاب المقدس يعلم ان عقيدة الثالوث مأخوذة منه بدلالة آيات كثيرة في غاية الصراحة وهي التي منها صاغ المسيحيون نصها مع اختلاف قليل في اللفظ فقالوا — « لا يوجد الا اله واحد حي حقيقي ازلي ليس بذي جسد ولا يتألم غير متناه في القدرة والحكمة والصلاح صانع وضابط كل الاشياء ما يرى وما لا يرى

ولذاته القدوسة ثلاثة اقانيم في جوهر واحد الآب والابن والروح القدس»

وعداموافقة هذه الصيغة للاسفار المقدسة فانهاموافقة لمؤلفات المسيحيين الاولين الذين بقيت كتاباتهم الى عصرنا الحاضر مما يدل على انهم فهموا الكتاب من جهة هذه الحيثية كما فهمناه .

وان العقل نفسه يعلمنا ان لا نتجاوز في البحث والاستقصاء ما اعلنه الله عن ذاته وقال الحكماء : البحث عن ذات الله كفر .

يؤكد بعض اخواننا المسلمين ان التوحيد مخالف للتثليث لكن الحقيقة هي حيث ان العقيدتين معلنتان في كلام الله لا يمكن ان يكون بينهما تناقض لان التوحيد لا ينفي كل نوع من انواع التعدد مثال ذلك من المعلوم ان الله متعدد الصفات يقال رحيم حكيم قدير عادل الخ حتى وصفه علماء المسلمين بانه مجمع الصفات الحسنة جامع صفات الكمال لكن تعدد الصفات لا يبطل وحدة الذات ومثل ذلك تعدد الاقانيم لا يبطل وحدة الجوهر الالهي وعلى فرض انه لا يوجد في الخليقة ما يصلح ان يؤخذ مثالاً موافقاً لشرح هذه الحقيقة الا انه يوجد بعض الامثلة التقريبية — ورد في التوراة ان الله خلق الانسان على صورته (تك ١:٢٦) .

ويوافق ذلك ما قاله علي بن ابي طالب «من عرف نفسه فقد عرف ربه». فلنتخذ هذا مثالا تقريبياً لموضوعنا فنقول ان كل رجل هو واحد غير انه يصح ان يتكلم عن روحه ونفسه وجسده قائلاً عن كل منها (انا) هنا ثلاثة اشياء يكاد يتميز احدها عن الآخر لان الروح ليست النفس ولا هذه ولا تلك هي الجسد وعليه فليس من الخطإ ان ندعو كلاً من هذه الثلاثة رجلاً الا انه لا يوجد في الثلاثة الا رجل واحد ومما لا شك فيه لا يكون احد الثلاثة خلواً من الاثنين الآخرين كل الشخصية كما لا يمكن التفريق بين الواحد والآخر على الاقل في هذه الحياة .

انّ هذا سر من الاسرار الكثيرة المودعة في طبيعتنا ولسنا نفهمها فان كل امرىء على وجه الارض يشعر بهذا التمييز في طبيعته بين روحه وعقله ونفسه في حين انه لا يرتاب في وحدة ذاته على اننا لسنا نقيم هذا المثال ولا غيره دليلاً على صحة التثليث بل الدليل على صحته كما قلنا مراراً الكتاب المقدس وكفى به دليلاً لانه صادر من الله وهو يعرف نفسه اكثر مما نعرفه. وغاية ما نقصده من سرد الامثلة ان ندفع الشبه التي يعترض بها على هذا الموضوع ونبرهن انها صادرة عن سوء فهم لازالة ما عساه يكون عثرة امام طالب الحقيقة المخلص .

ومما لا يصح اغفاله ان القرآن يتفق مع الكتاب المقدس في اسناد الفعل وضمير المتكلم في صيغة الجمع الى الله في ان امثلة ذلك اقل بكثير في التوراة عما هي في القرآن ومما ورد في التوراة هذه المواضع (تك١ :٢٦ و٣ :٢٢ و١١ :٧) وفي القرآن ما ورد في سورة «العلق» وهي عند المسلمين اول ما نزل من الوحي على محمد فقد ورد في عدد ٨ لفظ «الرب» اسماً للجلالة وعد ١٣ لفظ «الله» وكل من اللفظين في صيغة المفرد ولكن في عدد ١٨ ورد ضمير الجلالة بصيغة الجمع حيث يقول «سندع الزبانية»

وحيث ان الكتاب المقدس والقرآن يتفقان على هذا الاسلوب من التعبير عن ذات الجلالة بضمير الجمع فلا يخلو ذلك من قصد اما اليهود فيعللون عنه بكون الله كان يتكلم مع الملائكة الا ان هذا التعليل لا يلائم نصوص التوراة ولا القرآن ويعلل عنه المسلمون بالتعظيم وهو تعليل سخيف لا يشفي غليل الباحث النبيه وليس لنا ان نخوض في شرح القرآن انما اوردنا ذلك شعاراً باننا لا نخطئ اذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لاسناد ضمير الجمع الى الله في القرآن كما مر بيانه.

وقلنا انه لا توجد مشابهة وافية بين الله والمخلوقات الا انه توجد بعض الاشياء عدا ما ذكرنا آنفاً تثبت التعدد في الوحدة. مثال ذلك

خيط واحد من اشعة الشمس يتضمن ثلاثة انواع من الاشعة (١) النور (٢) الحرارة (٣) العمل الكيماوي وهذه الثلاثة شعاع واحد بحيث لا يمكن فصل احداها عن الاخرى لتتكون ثلاثة اشعة بل بالعكس الشعاع الواحد لا يتكون الا من الثلاثة معاً. وكذلك النار والنور والحرارة ثلاثة اشياء ولكنها واحد فلا نار من غير نور وحرارة مع ان النور والحرارة من طبيعة النار واصلها. نقول ان النار تعطي نوراً وحرارة اذ ان النور والحرارة تنبعثان من النار ولكن ذلك لا يجعلهما تنفصلان عن النار ابداً فلا تسبقهما في الوجود ولا تتأخر عنهما في العدم. وكذلك العقل والفكر والكلام واحد ومع اختلاف كل منها عن الآخر لا نقدران نتصور العقل عارياً عن الفكر ولا الفكر عاريا عن الكلام منطوقاً به أو غير منطوق. ففي هذه الامثلة جميعها لا يشوش التعدد على الوحدة بل يتفقان تمام الاتفاق. ولنا ان نستنتج من ذلك ان وجود ثلاثة اقانيم في اللاهوت ليس مضاداً للعقل السليم بل له شبه ونظائر في الطبيعة وسند قوي في الكتاب.

وهنا فكر آخر له علاقة بالتثليث ان من اسماء الله الحسنى عند المسلمين كونه «ودوداً» اي محباً (وهذا يوافق ما جاء في الكتاب في ارميا ٣١:٣ ويوحنا ٣:١٦ و١يوحنا ٤:٧—١١) وبما انه غير متغير فهو

ودود من الازل ويلزم عن ذلك ان يكون له مودود اي محبوب من الازل قبل خلق العالم فمن عساه يكون ذلك المحبوب الموجود من الازل عندالله؟ في عقيدة التثليث الجواب الصريح والوحيد لهذا السؤال فنقول ان اقنوم الآب هو الودود واقنوم الابن المودود وما احسن ما قال يسوع في هذا المعنى خطاباً لابيه «احببتني قبل إنشاء العالم» (يو ١٧: ٢٤) وعليه لا يمكن الاعتقاد بوجود صفة المحبة في الله من الازل ما لم نعتقد بتعدد الاقانيم مع وحدة الجوهر والا كان الله متغيراً ابتدأ ان يحب من الوقت الذي خلق له محبوباً من الملائكة أو البشر وهذا باطل لانه قال «انا الرب لا اتغير» (مل ٣:٦)

ولقائل يقول ما فائدة الايمان بالثالوث المقدس ألا يكفي اننا نؤمن بان الله واحد بصرف النظر عما اذا كان ذا ثلاثة اقانيم أو ذا اقنوم واحد؟ فاجيب فائدة الايمان بالتثليث ليست اقل من الايمان بالتوحيد لجملة اسباب جديرة بالنظر منها حل المعضلات الكثيرة التي يعترض بها على الوحدانية المحضة مثل كيف يكون الله هو الكافي والصمد والمتكلم والغني والودود من قبل ان يكون كائن سواه لان كل هذه الصفات وما شاكلها لا يمكن التعليل عنها الا بتعدد الاقانيم الالهية مع توحيد الذات كما مر بيانه في كلامنا عن وصف الله بالودود.

وهذا التعليم ايضاً يمكننا من فهم بعض تعاليم الكتاب المقدس كما انه يبين لنا شرح بعض الآيات القرآنية. واهم مما ذكر ان الايمان بالتثليث مفيد لانه يمهد السبيل لتصديق دعوى المسيح انه «كلمة الله» المثبوتة في كل من الانجيل والقرآن واعلم ان هذه التسمية «كلمته» (في سورة النساء آية ١٦٩) «وقول الحق» (في سورة مريم ٣٥) اسلوب حسن للتعبير عن طبيعة المسيح ووظيفته بانه الوسيلة الوحيدة لاعلان الله للناس لان المراد من «كلمة» او «قول» هو ما يعبر به المتكلم عن فكره والمتكلم هنا الله وحيث انه دعا المسيح كلمته فيكون هو المعبر الوحيد الكامل عن فكر الله ومظهره القدوس الذي يظهر به لخليقته المحدودة وبه تكلم الانبياء مسوقين من الروح القدس (لو١٠: ٢٢ ويو١: ١و٢ و١٨ و١٤: ٦—٩و١ بط١: ١٠—١٢) وحيث ان المسيح هو الواسطة الوحيدة لاعلان الله يجب ان يعرفه هو اولاً ويعرف ارادته وقد عرفه كل المعرفة بدليل قوله «اما انا فاعرفه» «الآب يعرفني وانا اعرف الآب» (يو ٨: ٥٥ و١٠: ١٥) ومن هذه الحيثية تمتاز معرفة المسيح لله عن معرفة الانسان. روي عن محمد انه قال في حديث له خطاباً لله «ما عرفناك حق معرفتك» ويعترف علماء الاسلام ان الله عظيم وسام بحيث لا يدرك كنهه عالم ولا نبي ولا رسول كائن من كان

وعليه فلا يعرف الله حق معرفته الا «كلمته» اي المسيح فاذا كان الامر كذلك فلا يجوز ان يكون المسيح مجرد مخلوق ولو اسمى المخلوقات والا لقصرت معرفته دون ادراك الله ادراكاً كاملاً لانه لا يعرف الله الا الله وعليه يكون المسيح اقنوماً الهياً فعقيدة التثليث اذاً تزيل كل صعوبة تخالج العقل في قبول دعوى المسيح بانه كلمة الله وبالتالي قبول خلاصه.

وعدا ما ذكر فانه في الايمان بالتثليث حسنة كبيرة تغمر الشرقيين والهنود. لا يخفى انه قد ساد على هؤلاء الناس الاعتقاد بالقضاء والقدر حتى انهم استسلموا للجمود والتهاون فتأخروا عن امم الغرب في مضمار جهاد الحياة مع انهم من حيث الذكاء والاقدام فعلى اقل اعتبار يضاهون الاورباويين ان لم يزيدوا عنهم كما هو مثبوت في التاريخ فما الذي حدا بهم الى التقهقر في سلم المدنية غير استحكام عقيدة القضاء والقدر في اذهانهم فلو آمنوا ان الله لم يقدر عليهم سوءاً ولا قضى بخرابهم بل يحبهم حباً فائقاً بحيث انه اعلن لهم نفسه في شخص «كلمته الازلي» وحمل آلامهم واحزانهم ومات بالجسد لخلاصهم وقام ثانياً لاجلهم لما بقي عندهم محل للشك في حسن مراد الله من جهتهم ولاستنارت اذهانهم وفهموا نصوص الانجيل الذهبية كقوله «هكذا

احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» (يو٣:١٦ و١يو٤:٧—١٦)

انّ رفض اخوتنا المسلمين لعقيدة الثالوث هو بالتالي رفض للاهوت المسيح فكلما اجتهد المسلمون في البحث عن الله زادوا بعداً في المعرفة عنه تعالى وعليه نجد في مصر اليوم حديثاً حل محل مثل شائع هو «كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك» فبذلك ترى الاسـلام يؤول الى عدم معرفة الله. وان ايماننا معشر المسيحيين بمظهر الله الكامل يمكننا من معرفة الله ومن محبته اذ احبنا أوّلاً (١يوحنا٤:١٩) وان روح الله القدوس يحل في قلوب المسيحيين الحقيقيين وينيرها بارشاداته الى معرفة الله ويقربهم اليه (يوحنا١٤: ١٦و١٧و٢٦ و١٥:٢٦ و١٦:٧و١٥ واعمال١:٥ و٢:١—٤ و١كو٣:١٦ و١٧و٦:١٩) فبذلك يتصالح المسيحيون مع الله ويكونون في شركة معه كابناء مع ابيهم المحب السماوي عوضاً عن ان يكونوا كعبيد خائفين في حضرة سيدهم القهار (كما هي حال غيرهم).

اذاً نتعلم من الكتاب المقدس ان الله العلي العظيم اعلن لنا نفسه (١) انه الآب القدوس المحب الذي وان كان شديد البغض والمقت للخطية غير انه قصد من الازل بحسب فيض محبته وكثرة رحمته ان

يدبر طريقة خصوصية تيسر الخلاص لجميع البشر الذين يقبلون نعمة الله فيتصالحون معه تعالى بالقلب والعقل والارادة والسلوك(٢) واعطي هذا الاعلان من الله للناس على يد « كلمته » ابن الله الوحيد الذي بواسطته فقط يصل المخلوق اياً كان لمعرفة الآب السماوي. واذ اخذ ابن الله جسداً ولبس طبيعة البشر حمل احزاننا وهمومنا ومات على الصليب من اجل خطايانا وقام من اجل تبريرنا (رو ٤: ٢٥)(٣) ولكي يقبل الناس هذا الخلاص المبارك ارسل روحه القدوس الاقنوم الثالث من اللاهوت ليبكتهم على خطاياهم ويحقق لهم عظيم احتياجهم الى مخلص يخلصهم وينير اذهانهم بمعرفة غنى الانجيل حتى يطلبوا وينالوا ويتمتعوا بالحياة الابدية

ولا يبرح من ذهنكم ان البرهان الذي يقام على صحة عقيدة الثالوث الاقدس بعينه يقام على صحة عقيدة الحياة بعد الموت ويوم القيامة الى غير ذلك من العقائد التي يمتاز بها المؤمن من الكافر وعابد الله من عابد الصنم بمعنى ان هذه العقائد جميعها مؤيدة بكلام الله فان قبلنا عقيدة منها لانها مؤيدة بكلام الله فلماذا لا نقبل العقائد الاخرى في حين انها مؤيدة بكلام الله ايضاً .

ولنتقدم الآن لايضاح حقيقة اخرى لعلها تساعد القارئ للتثبت

من الموضوع الذي نحن في صدده وذلك بالايجاز . اننا نعلم بدليل قلوبنا عن الخلاص الذي يقدمه لنا الرب يسوع وكيف نحصل على الحياة الابدية ان آمنا به (يو١٧:١—٣) كما نحصل على سائر البركات العظمى التي يريد الله ان يمنحها لمخلوقاته.

انه بناء على ارشاد وتعليم الانجيل اي اسفار العهد الجديد نعلم انه بواسطة الايمان الحي بالمسيح والاتكال عليه (اع٤:١٢ و١٦:٣١ و١يو٣:٢٣) نصير ورثة الافراح الفائقة والبركات العظمى التي لا يعبر عنها «ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢:٩) وليس الايمان بالمسيح مجرد الاعتراف بان تعليمه حق بل الثقة الكاملة بمخلص حي حبيب جاء الى العالم ليخلص الخطاة (١تي١:١٥) من خطاياهم (مت١:٢١) وقادر أن يخلص الى التمام كل الذين يتقدمون به الى الله (عب ٧ : ٢٥) ايمان حي كهذا يربطنا روحياً بالمسيح ويجعلنا واياه واحداً (يو١٥:٤—١٠) كما يجعلنا اولاد الله فيه (يو١:١٢و١٣ و١يو٣:١—١٢) بل يقوينا حتى ننعتق من نير الخطية وابليس (يو٨:٣٤—٣٦) فنخلع اعمال الظلمة (رو١٣: ١٢ واف٥:١١ وكو١:١٣ و١تس٥:٤و٥ و١بط٢ : ١٩ و١يو١ : ٦) ونسلك كما يحق للدعوة التي دعينا بها او بعبارة اخرى نسلك كاولاد

نور (يو٨: ١٢و١٢: ٣٥و٣٦)

ولما كان الانسان من تلقاء نفسه لا يقدر أن يؤمن بالمسيح ايماناً حياً عاملاً رأى الله من فرط محبته لنا ان يرسل روحه القدوس ليعمل في ارواحنا ويبث فينا حياة روحية نستعين بها على الايمان بالمسيح الايمان المطلوب ما لم نغش قلوبنا ونرفض نهائياً احتجاج ذلك الروح الصالح المنعم

وقد رأينا في ما تقدم ان المسيح «كلمة الله» هو مظهر الله الحقيقي وعليه يتضح جلياً انه بواسطته فقط يستطيع الانسان ان يأتي الى الله (يو١٤: ٦) وبدون ايمان بالمسيح لا تقبل الناس لدى الله ولا تغفر لهم خطاياهم. لهذا جاء الروح القدس ليحث الناس على التوبة ويستميلهم الى الايمان بحيث يعتنقون ذلك الخلاص المقدم لهم مجاناً في المسيح. وان الروح القدس الذي يكشف لنا الستار عن حالة قلوبنا الرديئة ويبكتنا على خطايانا وينذرنا بالدينونة الآتية (يو١٦: ٨) يحرضنا على السعي والجد في طلب المصالحة مع الله بقبول الكفارة الوحيدة التي قدمها المسيح عن خطايا العالم (عب١٠: ١٠—١٤). والذين ينقادون بارشاد الروح القدس يتبررون بايمانهم بالمسيح ويكون لهم سلام مع الله بربنا يسوع المسيح (رو٥: ١) يعطيهم السلام الذي لا يقدر أن يعطيه العالم

(يو ١٤: ٢٧) فالخاطئ النادم متى اتى الى المسيح يُعتق من الخوف والرعب الشديد الناتج عن خطاياه ويزال عن عنقه ذلك الحمل الثقيل ويطرح في بحر نسيان رحمة الله (مت ٢١: ٢١ ومر ١١: ٢٣) وتتبدد غياهب ظلمة قلبه ويحل محاها نور السماء وتملك عليه محبة الله ويعلم ان الله ابوه السماوي بيسوع المسيح فيهجر خطاياه ويجدّ في حفظ وصايا الله ويواظب على معاشرته تعالى فتجري في نفسه انهار السعادة الحقيقية التي تفوق الوصف حتى تصير الارض في عينيه سماء بالرغم عن تجارب الحياة الكثيرة واضطهاد المضطهدين ويتحقق صدق الكتاب لا بالبرهان الخارجي فقط بل بالوجدان والاختبار ايضاً.

وهذا التغيير الذي ينتجه عمل الروح القدس في نفس الخاطئ الآتي الى المسيح لا ينحصر في تحويل القلب عن الخطية الى البر ومن الظلمة الى النور ومن عبودية ابليس الى حرية الله بل اعظم من ذلك هو ميلاد جديد حقيقي روحي (يو ٣: ٣ و٥) الذي به يصير المؤمن خليقة جديدة روحياً (٢كو ٥: ١٧ وغل ٦: ١٥) وان الله ليريد ان كل انسان يتوب عن خطاياه وينال الخلاص بالايمان بالمسيح (حز ٣٣: ١١ و١ تي ٢: ٣—٦ و٢ بط ٣: ٩) من اجل ذلك فليس احد على وجه الارض مقضياً عليه بالحرمان من رجاء الخلاص بل كل من يريد

بسلامة قلب ان يفدى بدم المسيح فانه يفدى بكل تأكيد (يو ٦: ٣٧) واما الذين يعتمدون على ما يتخيلونه من اعمالهم الصالحة ويتوهمون ان لهم خزانة بر ذاتي في السماء ويرفضون المسيح فهم مقاومون لارشاد روح الله القدوس ويحكمون على انفسهم بانفسهم (يو ٣: ١٦—٢١ و ٥: ٤٠) ومع انه استطاع في هذه الحياة ان يقاوم محبة المسيح ويعاند رحمة الله يضطر في النهاية ان يسجد امام المسيح كما ينبئنا الكتاب (اش ٤٥: ٢٣ ورو ١٤: ١١ وفي ٢: ٩—١١) .

ومما قيل يتبرهن ان التغيير الذي يحدثه الايمان بالمسيح في القلب لا يدعنا نهمل واجباتنا المسيحية أو نمادى في ارتكاب الخطية لانه ايمان حي مُحْيٍ يدفع صاحبه الى فعل الخير ويمنعه عن فعل الشر. لذلك ان كان احد مؤمناً بالمسيح ايماناً حقيقياً ينتصر بمعونة روح الله القدوس على الخطية الداخلية كما ينتصر على العالم والجسد والشيطان ويدوس على هوى نفسه ويكرس ذاته لاجل ان يعيش على وفق ارادة الله من حيث قداسة العمل والطبع لانه ذاق بحاسته الروحية محبة الله الفائقة ورحمته العظيمة المعلنة في المسيح واختبر الفرح الحقيقي والسعادة الكامله التي افاضها في نفسه الايمان.لهذا اصبح يعرض عن

كل خطية او فكر شرير ويجاهد ليله ونهاره على الاحتراس والاحتفاظ بوصايا الله سالكاً في النور كما ينبغي لدعوة الانجيل

الفصل السادس

حياة المسيحي وسلوكه

قيل في الانجيل انه حدث يوماً ما ان ناموسياً استعلم من الرب يسوع عن الوصية العظمى في الناموس فاجابه «تحب الرب الهك» (تث ٦:٥) من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك (لاويين ١٩:١٨) كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء» (مت٢٢: ٣٥—٤٠ ومر١٢:٢٨—٣١)وقيل في غير موضع ما يوافق ذلك وهو قوله «لا تكونوا مديونين لاحد بشيء الا بان يحب بعضكم بعضاً لان من احب غيره فقد اكمل الناموس لان لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وان كانت وصية اخرى هي مجموعة في هذه الكلمة ان تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب فالمحبة هي تكميل الناموس (رو١٣:٨—١٠) محبة الله تؤدي الى محبة خلائقه خصوصاً الانسان ثم ان المسيحي الحقيقي يحب الله لانه يعلم ان الله

احبه اولاً (١ يو٤: ٩—١١ و١٩ ورو ٥:٥—٨) ومحبته لله تقطعه عن الاهتمام بلذات هذا العالم السريع الزوال (١ يو ٢: ١٥—١٧) وكلما ازدادت المحبة لله عظم الاقبال الى خدمته وازدادت الرغبة في صنع الخير للقريب. ويعلم المسيحي حينئذ ان الله ابوه السماوي وانه هو احد اولاده في المسيح (يو ١: ١٢ و١ يو ٣: ١و٢) وتعظم ثقته في الله ويسارع مجاهداً في تمجيده واكرامه فكراً وقولاً وعملاً (مز ٦٣: ١ — ٨) واذا جاءه يوماً ابليس ليجربه فيقول له كما قال يوسف في العصور الاولى «كيف اصنع هذا الشر العظيم واخطئ الى الله؟» (تك٣٩: ٩) وكل ما يعمله فلمجد الله ومرضاته لا لمرضاة الناس (كو٣: ٢٣) وعلى قدر ما ينمو في محبة الله ومعرفته يزداد في تسبيحه وحمده لاجل خيراته الزمنية وبركاته الروحية التي يغمره بها ويظهر احساسات الشكر لا بالكلام فقط بل بالسيرة والعمل (مز ٣٤: ١ وكو ٣: ١٧ و١ تس ٥: ١٥— ٢٢)

ومن سجايا المسيحي الحقيقي انه اذا وقع في ضيقة من جهة شؤون الحياة لا يتكل على ذراع البشر بل على الله كما انه لا يبالي بانماء ثروته ولا باعلاء رتبته ولا يهتم بافراط في معاشه بل يصلي لابيه الذي في السموات ان يبارك اشغاله ويمنحه من الرزق الحلال ما فيه

الكفاية لسد أعوازه ويشعر باقتناع في قلبه ان اباه السماوي يهتم به (١ بط ٥:٧) ولهذا فيلقي عليه همومه بنفس مطمئنة لانه يعلم عن ثقة ان الله فتح له كنوزه الروحية في السموات المذخرة في المسيح يسوع ويتأكد ان اله كل رحمة لا يمنع عنه خيراً من ضروريات الحياة (مز ٢٨:٧ ومت ٦:٩—٣٤ و١تي ٦:٦—١١)

المسيحي الحقيق حمادٌ شكور لله على ما وفق له من اليسر والغنم عالماً ان كل عطية صالحة وموهبة تامة نازلة من عنده تعالى (يع ١:١٧) وهو صبور عند ما تمسه الشدائد وتتوالى عليه البلايا والاضطهادات مؤكداً « ان كل الاشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨:٢٨) كأنها تلقي على سمعه مناجاة احد قدماء المسيحيين لنفسه «يا نفسي حياة المسيح كانت بجملتها على الصليب وعلى المذبح وأنت تسعين وراء الراحة والانشراح؛ حاشا وكلا» ويعلم ان اباه السماوي اذا سمح له بتجربة فلاجل ان يقربه اليه اكثر من ذي قبل بحيث يقدر ان يفرح ويتبسم وهو رازح تحت عبء الضيقة (رو ٥ : ٣ و٤ و٥ و١٢:١٢) ويقول مع صموئيل النبي «هو الرب ما يحسن في عينيه يعمل» (١صم ٣:١٨) ذاكراً انه وان كان يعيش في العالم فليس من العالم كابرهيم الذي «كان ينتظر المدينة التي لها الاساسات التي صانعها

وبارئها الله» (عب ١١: ١٠ وانظر مز٣٧: ٥ و٢ كو٤: ١٧ و١٨ وعب ٢ :٥و٦)

المسيحي الحقيقي يعبد الله باخلاص وحق (يو٤: ٢٤) ويشتهي ان يبقى على الدوام شاعراً انه في حضرة الله ويأتي اليه كل حين كطفل يأتي الى ابيه الحبيب عالماً عنايته به. اذا طلب الطفل من ابيه حاجة يطلبها حسب الطبيعة وليس بصيغة خصوصية من الاقوال المرتبة. ومثل ذلك المسيحي اذا طلب من ابيه السماوي شيئاً فليس عليه ان يتلو عبارات معينة ولا يتلو اقوالاً بلغة قديمة مقدسة على زعم البعض لانه يفهم ان الله مستعد ان يسمع الصلاة اكثر من استعداد المصلي للصلاة وان هباته تعالى اكثر مما نطلب او نفتكر الله يعلم احتياجنا قبل ان نسأله وما اقل درايتنا باحسن الاشياء لنا لذا ينبغي للمصلي اذا طلب شيئاً من متاع الدنيا أن يطلبه تحت هذا الشرط «ان شاءت ارادتك يارب» واما ان طلب طلبة روحية يطلبها بلا شرط ولا قيد عالماً ان الاشياء الروحية جميعها صالحة لنفسه وان الله أعدها له.ان كان انسان قبل الميلاد الجديد الروحي (يو٣: ٣و٥) واستنار ذهنه بارشاد روح الله القدوس لا يصلي فقط بل يرتل لله في قلبه كل حين ويسبحه على جوده واحسانه ويثابر على معاشرته تعالى وكل ما يعمله فامجد اسمه

عالماً انه فاحص القلوب لاتخفى عليه خافية ويجاهد في تذليل كل فكر تحت سلطان محبته مستودعاً نفســه واعزاءه بين يدي محبته متلذذاً بالسلام والطمأنينة المظللة على قلبه وروحه (مت٦:٥—١٥ولو١٨:١—٨ ويو١٦:٢٣وفي٤ :٦ و٧ و١تس٥ : ١٧ و١٨ و١يو٥ : ١٤ و١٥ ويع ١:٥—٨)

وفضلاً عن الصلاة الانفرادية فان اغلب المسيحيين يصلون صلوات اخرى مثل الصلاة المعروفة بالصلاة العائلية حيث يجمع الرجل زوجته وأولاده حوله ويقرأ لهم شيئاً من الكتاب المقدس ويصلي معهم طالباً المغفرة والبركة من الله عز وجل على نفسه واهل بيته. ومثل الصلاة الجمهورية حيث يذهب الرجل المسيحي الى الاجتماع سواء كان في دار اعتيادية اوكنيسة وخصوصاً في ايام الآحاد اليوم الذي قام فيه المسيح من الموت ويتحد مع جمهور العابدين لسماع الانجيل والوعظ وللصلاة والتسبيح تحت ملاحظة خدام الدين وهم رجال يدعون من الله ومدربون على خدمة الانجيل بنوع خاص، واستحسن بعض الطوائف أن تصلي في اثناء العبادة الجمهورية بصلوات معينة على امل مساعدة العامة على العبادة واستحسن البعض الآخر الصلاة الارتجالية وحيث ان الله يعرف كل اللغات فهي عنده على

حد سواء.ولا افضلية للعبرانية ولا اليونانيـة في اعتباره على سائر اللغات الاخرى انما الواجب ان تكون العبادة بالاخلاص والروح والحق.وكذلك لافرق بين موضع وآخرلتأدية العبادة لان المواضع كلها سواء عند الله فلا رسم ولا طقس ولا وضع خصوصي للعبادة الا ان تكون بالروح والحق كما يعلمنا الانجيل (يو٤:٢٤)

المسيحي الحقيقي يعتبر كل الناس اخوانه ويرغب في مصلحة الغير كما يرغب في مصلحة نفسه ويصنع الخير حسب طاقته مع الجميع في الروحيات والجسديات (مت ٧:١٢ و٢٢:٣٩ و١كو١٠:٢٤) لان المسيح علمه ذلك القانون الذهبي (مت ٧:١٢) الذي لو سار بموجبه جميع الناس لاصبحت الارض سماء.فهو يعامل الآخرين لا كما يعاملونه بل كما يحب هو ان يعاملوه ان كانوا مرضى يعودهم وان جاعوا يطعمهم وان ضلوا عن الله يعلمهم ما علمه المسيح(مت٢٨:١٩ و٢٠) وبالجملة يحب الجميع ولاسيما اهل الايمان (غل٦:١٠ قابل مت ٢٣:٨ ويو١٣:٣٤ و٣٥) بل يحب اعداءه ومضطهديه (مت ٥ : ٤٤ و١تس٣:١٢ و٢بط١:٥—٧) عالماً ان هؤلاء الاعداء من جملة الذين مات من اجلهم المسيح وقد حدث ان احد أعداء المسيح اصبح احب

احبائه لانه انما كان ضالاً ووجده الراعي الصالح وخلصه من بين انياب الذئب (يو١٠: ١١—٦)

تلميذالمسيح الحقيقي صادق ومستقيم ونقي القلب ولطيف(مت ٥: ٢٧ واف٤: ٢٥ويع٤: ١١ و١٢) يسعى جهد طاقته في بث روح الوحدة والوفاق بين الناس (رو١٢: ١٨) يرثي للمتضايقين (رو١٢: ١٥ وعب١٣: ١٦) يقابل ما يصيبه من الاذى بالصبر الجميل مفوضاً امره الى الله (مت١١: ٢٩ واف٤: ٢٥—٣٢) مع انه اذا رأى الاذى يقع على غيره بغياً وعدواناً يشتعل الغضب الصالح في قلبه ويندفع لانقاذ المظلوم مهما كلفه ذلك من التضحية . وقد روي عن قوم مسيحيين قبلوا ان يباعوا كالرقيق حتى يتمكنوا من مؤاساة وتعزية الانفس الواقعة تحت عبودية قاسية

المسيحي الحقيقي يعلم انه خلق لخدمة الله وانه اشتري بثمن عظيم بدم كريم دم المسيح (١كو٦: ٢٠ و٧: ٢٣) وان جسده هيكل لروح الله القدوس بسبب ايمانه بالمسيح(١كو٣: ١٦و١٧و٦: ١٩)فيأخذ كل حذره من أن يدنس ذاته نفساً وروحاً وجسداًبالاستسلام للشهوات الجسدية ويجاهد بنعمة الله ان يحفظ نفسه طاهراً بلاعيب ولادنس عائشاً بالقداسة (٢كو٧: ١ واف٥: ٤ ويع١: ٢١) ولا يرفض اطعمة

قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق لانه منذ تأسيس العهد الجديد اباح الله كل انواع الاطعمة. واذ قد استنار ذهنه تحقق وصية سيده — كل ما يدخل الفم لا ينجس الانسان بل ينجسه الذي يخرج منه لانه يصدر عن القلب مثل الافكار الشريرة والزنى والفسق والقتل (مر٧: ١٤—٢٣) وان كان الطعام مباحاً باصنافه فليس تباح الشره والتبذير للمسيحي (١كو١٠: ٣١ قابل رو١٤: ٢٠ و٢١ و١تي٤: ٤و٥) مثل المسكرات والخمور (لو٢١: ٣٤ ورو١٣: ١٣ و١كو ٥: ١١و٦: ١٠ وغل٥: ٢١ واف٥: ١٨) وكذا التنعمات الردية .

المسيحي الحقيقي يعرض عن كل كلمة وعمل غير لائق ويسعى جهده في مرضاة الله (مت١٦: ٢٤ ورو٦: ١١—٢٣ و١كو٦: ١٢—٢٠ و١تس ٤: ٣—٨ و١بط١: ٢٢) متقدماً في النعمة وفي معرفة الله يسوع المسيح ربنا (٢بط٣: ١٨) عالماً ان هذا فقط هو الذخر الباقي والكنز الدائم بخلاف ثروة هذا الدهر ومجده وعظمته التي يطلبها ويجد في اثرها اهل الغرور فان مسيرها للزوال والتلف (مت١٦: ٢٦ واف١: ١٥و٢: ١٠ وفي٣: ٧—١٦)

ومهما تكن اشغاله او مصلحته يدأب على عمله بامانة واتقان حتى يسر قلب خالقه وفاديه ويمجد اسمه القدوس محاذراً من الاهمال

والكسل آكلاً خبزه بعرق جبينه.وحسب طاقته يجتنب الديون معتبراً ان كل ما ملكت يده فللرب الهه يتصرف فيه على وفق مشيئته في وجوه الخير والاحسان (مت ٢٥: ١٤ — ٣٠ ولو ١٩: ١٢ — ٢٧ و كو ٣: ٢٣ و ٢٤ و ١ تس ٤: ١١ و ١٢ و ٢ تس ٣: ١٠) وكل ما ازداد في خدمة المسيح باخلاص واتسعت مداركه في معرفة شخصه العجيب عظمت محبته له بحيث لا يفصله عنه اية شدة واضطهاد (رو ٨: ٣٥ — ٣٩) وعلى مدى الايام يكثر تشبهه واقتداؤه بالمسيح غير مكتف بما هو دون صلاحه وقداسته الكاملة (٢ كو ٣: ١٨ و ١ بط ٢: ٩) واذا تصالح مع الله صارت ارادته على وفق ارادة ابيه السماوي ويفيض قلبه بفرح مقدس لا ينطق به ومجيد بالرغم عما يكتنفه من تجارب الحياة وآلامها. وفرحه هنا عربون لفرحه الدائم في السماء. وما ذكرناه قليل من كثير من نتائج الايمان بالمسيح في قلب المؤمن به يتقدم بشجاعة لاتمام واجباته في ملء الرجاء قائلاً ما قال بولس الرسول «استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣)

ومما يجب التنبيه اليه ان المسيحي في هـذه الحياة الدنيا وان صلحت اخلاقه الى الحد الذي ذكرناه فلا يزال غير كامل وعرضة لتجارب العالم والجسد وابليس وعليه ان يحارب هؤلاء الاعداء

ويغلبهم حتى الموت.وان ابليس مع شدة قوته لا يستطيع ان ينتصر على المؤمن الواثق بالمسيح الا ان المؤمن ذو جسد تحت الآلام كسائر الناس لكنه حالما يتذكر مرافقة المسيح له ذاك الذي حمل احزاننا وتحمل اوجاعنا (اش٥٣: ٣—٥) وانه يمكث معنا كل الايام (مت٢٨: ٢٠) تنبت فيه روح الشجاعة والقوة فيقابل بالصبر الجميل كل ما يسمح به الله ان يجري عليه من صنوف التجارب والبلايا منتظراً وطناً افضل من بعد القبر (٢كو ٥: ١— ٩وفي١: ٢٣)وراجياًقيامة ابتهاج ومجد عند ما يأتي المسيح ثانياً بالقوة والسلطان وقد خضعت اعداؤه تحت قدميه (يو ٥: ٢١—٢٩ و٦: ٤٠ و١ كو ١٥ وفي ٣: ٢١)

وفي العالم الاتي يعرف المسيحيون الحقيقيون الله كما هو ويرون مجده وجهاً لوجه ويسكنون مع المسيح الى الابد (مت ٥: ٨ و١كو ٢: ٩ و١٣: ١٢ ورؤ ٢٢: ٣ و٤) حينئذ يكملون في القداسة وينالون العصمة من الخطية ويرثون من الفرح والسعادة ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان يسكنون في نور احسان الله وبركاته وكلما جال في قلبهم هذا الخاطر وهم في الحياة الدنيا وتذكروا نعمة الله المخلصة لجميع الناس المؤدية الى طهارة السيرة والحياة الابدية سبحوا الله مع رسول الامم قائلين «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما ابعد

احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فاعطاه فيكافأ لان منه و به وله كل الاشياء له المجد الى الابد آمين» (رو ١١:٣٣—٣٦)

الى هنا شرحنا ووصفنا كيف يجب على المسيحي ان يكون اذا اطاع وصايا الانجيل غير ان اخواننا المسلمين كثيراً ما يغمضون عيونهم عن اخلاق المسيحيين الحقيقيين ويحتجون علينا بأخلاق من يلاقونهم من كَفَرَة الافرنج محاولين ان يقيموا الحجة والبرهان على ان اثمار الديانة المسيحية لا تختلف عن الاديان الاخرى لان اصحابها اشرار محبون لذواتهم عالميون فجار. ولو انهم تأملوا بامعان لتحققوا انهم مخطئون في تقريرهم لان كثيراً من الافرنج لم يدّعوا قط انهم مسيحيون وقول بعضهم ان كلمة نصراني واورباوي مترادفتان فهو خطأ محض. عدا ذلك فان كثيرين يدعون انهم مسيحيون وهم ليسوا من المسيحية في شيء سوى الاسم والصورة الظاهرة ولكن ليس الظاهر كالباطن والا لم يكن على الارض مراؤون ومنافقون وهذا باطل ومحال.

يُعرف المسيحي الحقيقي بسلوكه وطاعته لناموس المسيح فان رأينا احداً يدعي انه مسيحي وهو يخالف وصايا المسيح فهو مرائي ومنافق ويحمل وزر نفسه. فاذا دعي المسلم الى الجهاد واندفع الى ميدان القتال

يسفك دماء الاعداء الى ان مات محاطاً بالقتلى فقد برهن للملإ صحة اسلامه كما انه اذا دعي الطبيب المسيحي المرسل الى مقاومة الطاعون والكوليرا يكافح ذلك العدو الفتاك بارواح العباد معرضاً نفسه لخطر الموت لافتداء بني جنسه من كل دين فهو يبرهن نسبته الى الديانة المسيحية.ولكن اذا اقتدى المسلم بالمسيحي بمعالجة المرضى لم يعتبره اخوانه من اتباع رسول السيف وان اقتدى المسيحي بالمسلم في سفك الدماء لم يعتبره اخوانه تابعاً لرسول السلام.فكما ان الشجرة تعرف من اثمارها يعرف المسيحي الحقيقي من اعماله.ونقول كما قلنا ان ادعى احد انه مسيحي وتصرف بالخيانة ضد هذا الدين الصالح لا يحكم عليه اهل دينه فقط بل نفس الذين يدينون بالاسلام قائلين ليس هذا بمسيحي حقيقي وعليه فقد يشهدون ضمناً بطهارة وقداسة الايمان المسيحي.قال الرسول يوحنا«من يفعل البر فهو بار كما ان ذاك(المسيح) بار.من يفعل الخطية فهو من ابليس لان ابليس من البدء يخطئ.لاجل هذا اظهر ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس» (١يو٣:٧و٨) وعليه فكل احتجاج على المسيحية بسبب ان بعضاً من المدعين بها يسلكون بغير استقامة احتجاج باطل لا يروج لدى اهل العقول الراجحة.

ثم نقول اخيراً ان ألد اعداء الديانة المسيحية يسلمون انه يوجد

مسيحيون حقيقون متفرقون في اماكن مختلفة لا ينكر احد تقواهم وتفانيهم في فعل الخير من رجال ونساء بعضهم مرسلون وبعضهم صناع وتجار واصحاب اشغال متنوعة من المهن والحرف الشريفة وشهدت الاعداء ان لا ديانة اخرى على وجه الارض تعد هكذا اناساً صالحين. نعم اية ديانة ترسل مرسلين الى كل اجزاء العالم حتى مجاهل افريقيا والجزائر البعيدة منهم المرسلون والاطباء والممرضون لكل انواع الامراض؟ اية ديانة ترغب السيدات ذلك الجنس اللطيف ان يغادرن الاهل والوطن ويقطعن البحر والبر حتى يخدمن في مستشفيات البرص في بلاد الهند؟ واية ديانة ترسل الاعانات العظيمة في المجاعات والاوبئة والزلازل وسائر النكبات؟ اية ديانة ضحت المال والرجال في تحرير العبيد واعتقتهم من ربقة العبودية؟

واعلم ان المسيحية لا يقتصر تأثيرها في تحويل الجفاء والخشونة الى لطف ومحبة على امة دون امة مثل التأثير على الامم المتمدنة اكثر من الهمجية كلا بل تؤثر في الكل على السواء ففي الهند والصين واليابان ومصر والعجم وفي اية امة وبلاد يكرز بانجيل المسيح توجد امثلة كثيرة لاتقياء المسيحيين رجالاً ونساء حولهم الانجيل من قساوة القلب وحياة الاثم والرذيلة الى مثال التقوى والفضيلة والمحبة وذلك

منذ اعتنقوا الديانة المسيحية وكم منهم احتمل الاضطهاد والتعذيب لاجل خاطر المسيح حتى الموت فامثال هؤلاء رسائل المسيح الحية المعروفة والمقروءة من جميع الناس (٢ كو ٣:٢ و٣)

وهنا نعترف انه لسوء الحظ يوجد بين طوائف النصارى من يقدمون العبادة لبعض القديسين وللعذراء مريم ويسجدون للصور والتماثيل الا ان هذه العبادة محرمة بموجب نصوص كثيرة من اسفار العهدين اي التوراة والانجيل (خر ٢٠:٣—٥ ويو ١٤:٦ و١تي ٢:٥) وكم حذرنا الانجيل من عبادة الاصنام بما لا يدخل تحت حصر (١كو ١٠:٥ و١١ و٦:٩ و١٠:٧ و١٤ وغل ٥:٢٠ واف ٥:٥ وكو ٣:٥و١ بط ٤:٣ ورؤ ٩:٢٠ و٢١:٨ و٢٢:١٥) وقد امتلأت صحائف التوراة من العبر التي حاقت بالامة الاسرائيلية بسبب عبادة الاصنام وحيث ان الكتاب المقدس ينهى كما رأيت عن هذه العبادة فليس من الصواب ان تتخذها دليلاً للاحتجاج به ضد الديانة المسيحية كما ليس من الصواب ان يتخذ عبادة الاولياء وغيرهم عند بعض المسلمين حجة على الاسلام .

المسيحي الحقيقي من يقتدي بالمسيح في حياته ويشهد له شهادة محسوسة بارزة من خلال اعماله اليومية الا ان الكنيسة المنظورة

تشتمل كما قال المسيح على الحنطة والزوان (مت١٣: ٢٤—٣٠و٣٦—٤٣) والعاقل يميز بين الحنطة والزوان ، وبين الطيب والخبيث والعملة المزيفة لا تكون حجة على العملة الحقيقية . والتاجر المدرب يفرز هذه من تلك .

الفصل السابع

في خلاصة الادلة على ان اسفار العهد القديم والعهد الجديد تتضمن الوحي الحقيقي

بينا في مقدمة الكتاب الاقيسة الصحيحة التي نقيس عليها كل كتاب يزعم اصحابه انه وحي ونرجو ان يكون قد تحقق القارىء النبيل من الفصول المتقدمة ان الكتاب المقدس مستكمل الشروط ولكن لزيادة الفائدة نتوسع اكثر في هذا المبحث ونأتي بالادلة القاطعة التي لا تدع مجالاً للشك

(اولاً) ان الانجيل يمثل لنا في المسيح اقدس حياة واكمل مثال ظهر على وجه البسيطة وعاش بين الانام نعم قد اطنبت كل امة في بطل دينها ورفعت درجته الى ذروة المجد واقامت له التماثيل الا ان اكثر الحكايات في هذا الموضوع ترجع الى خرافات مجازية كما

يؤخذ من اساطير الهنود في قصص ابطالهم مثل «رامه» «وكريشنه» الا انه توجد بعض القصص ترجع الى اصل صحيح ولكنهم غالوا فيها وبالغوا كما حكوا عن بوذا اله الهنود ومع ذلك اذا قارنا هؤلاء الاقطاب والابطال في كل أمة تحت السماء (حتى الذين صورهم الوهم) بالمسيح لظهر فرق عظيم بينهم وبينه في جميع خلال الخير وسجايا الكمال فشتان بينهم وبين المسيح في التواضع والصلاح والنقاوة والعدالة واللطف والمحبة والرحمة والقداسة وسائر الفضائل المعترف بها من جميع الناس بل قد علا صلاحه وفاق مبالغة الشعراء في مديح ابطالهم بني الوهم والخيال. على ان حياة المسيح حقيقية لا ريب فيها كما يقر ويعترف الجميع فالكتاب الذي سجل هذه الحياة العديمة المثال كتاب الله بمعنى ان الذين عرفوا المسيح وعاشروه واتبعوه وكتبوا سيرته وتعاليمه كتبوا ما كتبوه بالهام الروح القدس كما وعدهم يسوع نفسه (يو١٦: ١٢ و١٣) والروح عصمهم من الخطإ وامدهم بالنور والمعرفة فجاءت شهادتهم للمسيح طبق الواقع (اع١ :٨) سواء كانت شهادتهم قولاً أو كتابة فالمسيح دليل نفسه

(ثانياً) ان اعلان الله اومظهره لا يمكن ان يكون كتاباً بل يجب ان يكون شخصاً وحتى تطلع الناس على حياته واعماله وتعليمه يجب ان

تكتب في كتاب تحت ارشاد وهيمنة من هو معصوم من الخطإ ومنزه عن الكذب ومن يطالع على الكتاب المقدس بروح الاخلاص وللصلاة تنجلي له الحقيقة في ثوبها الناصع ويجد المسيح الموعود به في التوراة والمسطورة حياته في الانجيل بانه «المخلص» «وكلمة الله» وهو الشخص الوحيد الكفؤ لاعلان الله للناس وقد اعلنه في صفاته وحياته وسيرته وموته وقيامته وتعليمه ووعوده ويقتضى هذا الاعلان الوحيد في بابه يحل الانجيل معضلة الدهور التي لم يستطع كتاب آخر ان يحلها الا وهي كيف الاله الغير المحدود يعلن نفسه لمخلوقاته المحدودة؟ هذه معضلة اجهدت الفلاسفة عقولهم في حلها واسفر اجتهادهم عن خيبة حتى ان علماء اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح عجزوا ايضاً عن الاجابة على هذا السؤال، وكذا عجزت علماء الاسلام وما اتوا به من الحل اوهى من بيت العنكبوت ومن اقوالهم في هذا الصدد ما ورد في كتاب ميزان الموازين قال المولف «كل مدرك لا بد له من وسيلة يدرك بها وعليه يجب ان يكون بين المدرك والمدرك صلة يتذرع بها الى الادراك ولما كان الله غير محدود وخلائقه محدودة انعدمت كل علاقة وانقطعت كل صلة بين الطرفين وعليه لم تكن ثمت وسيلة للانسان ان يدرك الله ولا اي مخلوق كائناً ما كان يستطيع ان يدرك الخالق عز وجل الا ان

مؤلف ميزان الموازين زعم انه يوجد مخلوق يدعى المخلوق الاول الذي بحسب الحق الاعظم خليقة الله الوحيدة وجمال الازل المطلق والنور الكلي ومظهر الله الكامل فلما قصد الله ان يخلق الخلق ويعلن لهم ذاته خلق هذا المخلوق الاول فصار موضوع محبته ومظهر صفاته وبما ان الله احبه فقد احب الله كذلك وهذا المخلوق على زعم المؤلف الوسيط الاعظم والنبي المطلق وكل ما حدث من بدء الخليقة وما يحدث الى المنتهى حدث بواسطته ·

هذا الرأي كيفما كان ليس له اصل في الاسلام وانما تطرق اليه من اصحاب البدع وفلاسفة الوثنيين كاريوس الهرطوقي فانه زعم انه يوجد مخلوق اول قد خلق الله به العالم وكذا زعم ماني الفارسي الا ان هذا الاخير قال ان الشيطان بعد ذلك خلق الانسان على صورة المخلوق الاصلي وصورته هو اي جمع فيه النور الاعظم والظلمة كما في العالم الصغير ثم انه توجد طائفة يقال لها النحشية او عبدة الافاعي او العرفاء قد اعتادوا ان يحترموا الخنثى ويدعونه غير المغلوب ويزعمون ان معرفته بداية معرفة الله ومن اقوالهم ان بداية الكمال معرفة الانسان ونهايته معرفة الله وعندهم ان آدم خلق على صورة ذلك الانسان الذي يدعونه الانسان الاعظم والاكمل ومما يشبه هذه الآراء ما يزعم قوم

من فرق اليهود يدعون «بالقبالاه» وهؤلاء اخذوا عن الوثنيين ايضاً كما أخذ عنهم المسلمون فقالوا ان الله الغير المحدود اراد من الازل ان يعرف وللوصول لهذا الغرض انبثق منه كائن ومن ذلك الكائن انبثق كائن آخر وهلم جرا الى العشرة ومن هؤلاء العشرة يتألف الانسان الاصلي ويسمونه بلسانهم (اذام قدمون) او الانسان السماوي ورأسه مؤلفة من الانبثاقات الثلاثة الاولى وان آدم او الانسان الترابي خلق على صورته بدون وضوح .

غير ان هذه التخمينات مع كونها من مواليد الاوهام لم تمهد السبيل قط الى حل المعضلة المتقدمة وذلك لان المخلوق الاول مهما بلغت عظمته وسمت صفاته لا يزال مخلوقاً وبينه وبين الله ما لا يحد ولا يقاس وعليه لا يقدر ان يدرك الله لانه لا صلة بين المحدود والغير المحدود كما قرر مؤلف ميزان الموازين فضلاً عن ان بدعة المخلوق الاول تؤدي الى عبادته دون الله وهذا هو الشرك الذي يقول عنه القرآن انه خطية لا تغتفر بعينه .

اما الانجيل فيجيبنا على السؤال الغامض افضل اجابة بينما الفلاسفة والعلماء عجزوا عن تصور وجود « كلمة الله » الذي هو واحد مع ابيه بالذات (يو ١٠ : ٣٠) وصار واحداً مع الانسان بتجسده. فالكتاب الذي

اظهر لنا هذه الحقيقة يجب ان يكون صادراً عن الله.فالفرق اذاً بين تعليم المسيحيين وفلاسفة الاسلام في ما تقدم ذكره هو ان اولئك الفلاسفة استنبطوا من عالم الخيال كائناً لا هو إله ولا إنسان وقالوا انه هو الوسيط بين الله والناس وشفعوا استنباطهم لهذا الكائن بآراء يهودية ووثنية مبنية على الحدس والتخمين. واما نحن النصارى فنقول ان الوسيط الوحيد بين الله والناس هو يسوع المسيح الذي هو انسان تام واله تام واستندنا في قولنا لا على رأي الفلاسفة ولا المبتدعين بل على كتاب الله الامين.ومن المعلوم ان المسيح كائن حقيقي وليس وهمياً افترضوا وجوده للضرورة بل له وجود حقيقي كما هو مثبوت في الانجيل والقرآن. هذا الذي اعلن الله لنا بمثال حياته الكاملة في القداسة كما باقواله وهو الذي قدم لله كفارة عن خطايانا بذبيحة نفسه على الصليب فان قارنت بين آرائهم وآرائنا ظهر لك الحق من الباطل وتعرف اي الفريقين المبتدع وايهم المتبع لتعليم الله على لسان انبيائه ورسله الذين أوحى اليهم الكتاب بالروح القدس

(ثالثاً) نقول ومن الادلة على كون الانجيل من الله انه يملأ فراغ النفس من حيث شوقها لمعرفة الله، وتبريرها امامه تعالى من تبعة الاثم، ومغفرة خطاياها، وتطهير القلب والحياة (١) يخبرنا الانجيل بقصد

الله الازلي من جهة الانسان ويشرح على التوالي السبب الذي من اجله خلق وكيفية سقوطه في حمأة الخطية وحاجته العظمى الى القداسة (٢) يخبرنا كيف نحصل على مغفرة خطايانا بالايمان بالمسيح وبذلك نتبرر امام الله (٣) وكيف تطهر قلوبنا بالايمان بالمسيح وتصبح هيكلاً لسكناه وتتنقى افكارنا ورغائبنا من الخبائث وكيف تشددت عزائمنا في الجهاد ضد الخطية وابليس كلما عظمت محبتنا له (٤) ويرينا كيف اننا بالايمان بالمسيح نصير اولاد الله المختارين وتفيض قلوبنا سلاماً وفرحاً روحياً متوقعين بالتحقيق واليقين وبفروغ صبر ذلك اليوم السعيد الذي يقوم فيه الاموات وحينئذ نتمتع بالسعادة الدائمة والقداسة الكاملة في حضرة الله. وبالاجمال ما من رغبة روحية تصبو اليها النفس الا وهي متوفرة في الانجيل فاذا هو رسالة الله الى ابن آدم المسكين.

ومن المحقق الذي دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان الاخرى لا تؤدي باصحابها الى شيء مما ذكرنا فاي كتاب منها يسكّن روع الخاطئ من هول الحساب واي منها يستميل القلب لمحبة الله واي منها يكلف الانسان بطهارة القلب والحياة ويعده لسماء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تحوم حولها الادناس يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة من كل عيب ودنس ونقص

الى غير ذلك مما هو مغاير لطبيعة الله الكلي القداسة فهذه الكتب لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون ان تروي له غليلاً نعم قد تأمره بالحج والصوم ونحر الضحايا مما ليس له اقل مساس بنقاوة القلب ولا باعلان صفات الله فيصبح المتعبد بها هائماً لا يستقر على حال من القلق منفياً من بيت الآب السماوي .

(رابعاً) ومن الادلة على كون الانجيل من الله هو تجديد القلب والحياة الذي يحصل عليه الذين يقبلون تعليمه ويبتدئ هذا التجديد من الداخل ويمتد الى الخارج وهو من الاهمية بمكان حتى انه وصف بالميلاد الثاني الروحي (يو٣ :٣ و٥) ويتم بواسطة عمل روح الله القدوس

(خامساً في الكتاب المقدس معلنة صفات الله العظمى التي يتشوق الانسان الى معرفتها ومؤهل لادراكها الى حد معلوم — صفاته الكمالية. كالقداسة والمحبة والرحمة والعدل وصفاته الجلالية كالقدم والقدرة والحكمة والخلق وحفظ الكون هذه الصفات وتلك مبينة بمزيد الوضوح على السواء وجاء في الكتاب ان الله اعلن نفسه في الرب يسوع المسيح الذي جال يصنع خيراً ولم يصرف احداً من امام وجهه

خائباً من الذين اتوه طالبين منه المغفرة والمعونة. ومع انه كان منزهاً عن الخطية قد اظهر الانعطاف نحو الخطاة المعترفين بخطاياهم الخائفين من دينونة اليوم الرهيب ورحمهم. وقد كلفه ذلك تضحية حياته حتى يتهيأ له انقاذ الذين يؤمنون به من سلطان الخطية ونتائجها المريعة. فلم يخبرنا اذاً الكتاب بصفات الله بالكلام والامثال من اساليب التعبير فقط بل اظهره لنا بالعيان وجهاً لوجه حتى يراه كل من اراد في حياة يسوع المسيح وعلى ذلك قوله «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩) وبهذا الاعلان الوحيد ادركنا اكثر بكثير من غيرنا كم هي مكروهة الخطية في نظر الله القدوس وانه بدون قداسة لا يتمتع احد برؤية الله (عب ١٢:١٤) وها كم فلسفة القدماء والمتأخرين بين ايدي طلبة العلم فهل رأيتم كتاباً من كتبهم يصف الله بما يصفه به الكتاب المقدس من صفات الكمال؟ اظن لا. بل اقول حتى الكتب المقتبسة من الكتاب المقدس ضلت ضلالاً بعيداً لانها فيما هي تعلم عن وحدة الله فاتها ان تقرر الطريقة الوحيدة التي بها اعلن الله نفسه للناس وتركت بين الخالق والمخلوق برزخاً لا يعبر مع ان الوصول لله بيت القصيد في الدين كله

(سادساً) ان روحانية الانجيل اشرف وانقى وارفع من اي كتاب

آخر وكل المساعي التي بذلت لانكار هذه الحقيقة اسفرت عن خيبة. فاستمار بعضهم اقوالاً مأثورة عن فلاسفة الصين والهند واليونان وارادوا ان يضاهوها بما يقابلها في الانجيل.ومن امثلة ذلك علم المسيح تلاميذه قانوناً ذهبياً «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم» (مت٧:١٢) وعلم بعض الفلاسفة في الهند واليونان الصيغة السلبية من هذا القانون الذهبي فقالوا لا تفعلوا بالآخرين ما لا تريدون ان يفعلوه بكم. فمن يتأمل في القولين يجد الفرق بعيداً كبعد السموات عن الارض.وكذلك كونفوشيوس فيلسوف الصين المشهور ذكر ذلك القانون بالصيغة السلبية مراراً ولم يذكره ولا مرة واحدة بالصيغة الايجابية الا ان حفيده كنغ تشي اقترب الى الصيغة الايجابية اكثر منه حيث يقول ان اربعة اشياء ترفع قدر الانسان لم اظفر بواحد منها بعد الى ان قال عن الشيء الرابع وددت ان اعامل صديقي كما اريد ان يعاملني لكني لم ادرك هذه الغاية.ومع ذلك لا يزال بين قوله وقول المسيح فرق عظيم لان المسيح اوجب المعاملة بمقتضى ذلك القانون لكل الناس واما هذا الفيلسوف فقد حصرها بين الخل وخليله فضلا عن كونه اقر بفشله .

وكثيراً ما اجتهد العلماء ان ينقبوا ويبحثوا في جميع ما وصلت

اليه ايديهم من كتب الاديان والحكم والامثال وجمعوا من الوصايا والشرائع ما قدروا ان يجمعوه فكانت النتيجة ان وصايا ذلك الكتاب الصغير اعني به الانجيل افضل واسمى مما استطاعوا ان يجمعوه من كتب العالم كافة. على ان الوصايا التي جمعوها كانت اشبه الاشياء بكومة من الزهور الذابلة اما وصايا الانجيل فكزهور نضيرة وكجنة فيحاء فيها كل مالذوطاب. اليس هذا وحده دليلاً راهناً. انه موحى به من الله؟ والا فكيف استطاع كتبة الانجيل ان يضمنوه ما اودعته الحكماء والفلاسفة في بطون كتبهم من خالص الوصايا وصميم الشرائع في الهند والصين واليونان ومصر والفرس والرومان في كل زمان ومكان الا ان يقال ان الله المحيط بكل شيء اوحى الى رسله الاطهار بما ليس في استطاعة العلماء اجمع ان يأتوا به؟ فتأمل

واهم من ذلك لنا في حياة المسيح على الارض كما دونها رسله الاطهار اعظم ناموس واصلح مثال فانه عاش حسبما علم من الوصايا الذهبية عديمة النظير. وعدا هذا كله فان الكتب الاخرى وان تضمنت شيئاً من الوصايا الجيدة لم تخل من التعاليم الخبيثة التي طالما ادت الى البوار وليس الخالص من الشوائب كالممزوج بها امتزاج السم بالدسم كفخذ الضان الذي قُدم لمحمد واصحابه بعد واقعة خيبر

فهو طعام شهي لكنه موت زؤام واما الانجيل فلا يحمل بين دفتيه الا الصلاح المحض .

بقي علينا ان نقول ان الانجيل لا يأمر بالصلاح ويدع الانسان وشأنه بل يمنحه القوة التي تدفعه الى العمل — ما هي تلك القوة العجيبة؟ — المحبة للمسيح — قوة لا توجد الا في الانجيل. سأل تلميذ مسيحي احد علماء الهند البوذيين قال انك قرأت الكتاب المقدس وقرأت كتبكم فماذا وجدت؟ قال وجدت احساسات شريفة في كل من كتبكم وكتبنا الا ان الفرق عظيم وهو انكم معاشر النصارى تعرفون الواجب ولكم من القوة ما يؤهلكم للعمل اما نحن فنعرف الواجب ولكننا غير قادرين على القيام به. فمثل الاديان الاخرى مثل قوم مدوا سكة حديد ولكن ليس لهم القوة المحركة واما الديانة المسيحية ففضلاً عن كونها مدت سكة اقوم سبيلا ففيها القوة المحركة التي تحرك الطالب الى السير وتلك القوة هي المسيح والفرق جوهري وعظيم. ولا يبرح من ذهن القارىء الكريم ان فيلسوف الصين لم يذكر اسم الله في جميع مؤلفاته الا مرة واحدة وتلك المرة ليست من كلامه بل مقتبسة فهو ليس من رجال الدين بالمرة

(سابعاً) ومن الادلة على ان الكتاب المقدس موحى به اتمام

النبوات المتضمنة فيه مما ليس له نظير في كتب الاديان الاخرى فانه عدا النبوات الكثيرة الواردة في اسفار العهد القديم بشأن المسيح وتمت فيه كما هو مقرر في اسفار العهد الجديد قد وردت نبوات اخرى ليست اقل من الاولى. سأل ملك من ملوك بروسيا مسيحياً قال هل تقدر ان تبرهن على وحي الكتاب بكلمتين اجاب «اليهود يامولاي» ان النبوات التي وردت في الكتاب عما يصيبهم تحققت كما تشاهد احوالهم اليوم ومن امثلة ذلك ما ورد في (تث ٢٨: ١٥ — ٢٨ وميت ٢٤: ٣ — ٢٨ ومر ١٣: ١ — ٢٣ ولو ٢١: ٥ — ٢٤) وكما تمت النبوات عن اليهود تمت النبوات الاخرى المنذرة بخراب نينوى وبابل وكثير من المدن العظيمة وعدا ذلك قد تنبأ دانيال النبي قبل ملك الاسكندر بزمن طويل عن انتصاره على مادي وفارس وانقلابهما (دا ٨: ٣ — ٢٧) وعن انقسام مملكة الاسكندر من بعد موته وقد حقق التاريخ ذلك. ثم تنبأ الانجيل عن امتداد الديانة المسيحية وما يلحقها من الاضطهادات كما تنبأ عن قيام الانبياء الكذبة والارتداد عن الايمان وسريان الالحاد والكفر في الايام الاخيرة وكل ذلك تحقق كما هو مشاهد بالعيان فليس سوى الله علام الغيوب الذي سبق وانبأ بهذه الامور على ألسنة كتبة الاسفار المقدسة .

(ثامناً) ومن الادلة على وحي الكتاب المعجزات التي اتى بها المسيح ورسله ومن اهمها قيامة المسيح من الموت بعد ثلاثة ايام في القبر مما يؤيد دعواه انه مخلص العالم «وكلمة الله» .

(تاسعاً) يظهر حق الانجيل من انتشار المسيحية في العصور الاولى وغلبتها على وسائل التدمير التي اثارها عليها ابليس والاشرار (مت١٦: ١٨) ولا تزال رافعة اعلام النصر الى عصرنا الحاضر والعجب العجاب انها انتشرت وغلبت بدون وسائط بشرية لان الرجال الذين وكلت اليهم الكرازة بالانجيل كانوا فقراء مالاً وعلماً وكرزوا بما يخالف رغائب الناس واميالهم وعوائدهم وبما هو بعيد عن عقولهم وتصوراتهم واشترطوا على الذين يقبلون كرازتهم ان يقبلوا الاضطهاد من الاعداء مهما اشتدت وطأته حتى الموت الاليم بدون ان ينتقموا لانفسهم حتى ولا يطلبوا النقمة من الله على مضطهديهم بل بالاحرى يباركوهم ويدعوا لهم بالدعوات الصالحات (اع٧: ٦٠) فمن كان يظن ان ديانة كهذه يروج سوقها في هذا العالم الاثيم ولكن بما انها من عند الله راجت بالرغم عن سهام الاعدآء الملتهبة حتى انه لم يمض عليها بضعة قرون حتى امتدت الى كل جهات المعمورة وقلبت كيان الوثنية رأساً على عقب في سوريا ومصر وآسيا الصغرى واليونان والرومان الى غير

ذلك من البلدان المشهورة بدون سيف ولا اكراه بل بالايمان واللطف والمحبة والشجاعة الادبية والامانة حتى موت الاستشهاد مع الكرازة ببساطة الانجيل.ألا يدل كل ذلك على ان روح الله القدوس ايد المسيحيين الحقيقيين وافرغ عليهم صبراً وشجاعة حتى شهدوا لسيدهم واستمالوا قلوب الاعداء الى صوبهم وربحوهم للايمان بالمسيح الى ان صاروا له جنوداً واعواناً.نعم اننا لا ننكر ان بعض الاديان الاخرى انتشرت ولكن بالترغيب والتهديد العاجلين والآجلين مثل ان يأتي الداعون البلاد يحملون في اليد الواحدة الكتاب الذي يدعون اليه وفي اليد الاخرى السيف.ولست اخالك تجهل ان السيف عند الكثيرين برهان قاطع ودليل ساطع حتى قالوا انه اصدق انباء من الكتب واما الترغيب مثل ان يرغبوا الناس بتعدد الزوجات وتبديلهن من حين الى حين بما لذ وطاب في هذه الحياة الدنيا وتعليق رجائهم في الحياة الاخرى بزوجات اكثر وجمال رائع فتان فان انتشرت ديانة بمثل هذه الوسائل لا يكون انتشارها دليلاً على كونها من عند الله لان الله قدوس يبغض الشر ويمقت الفجور والبغي والبهتان فشتان بين المسيحية وبين الاديان الاخرى .

فان قست الكتاب المقدس على الشروط التي نتوقعها بالبداهة

في الوحي الحقيقي حسبما ذكرنا في المقدمة نجدها متوفرة فيه بحيث لا نتردد في الجزم بانه موحى به من الله وخصوصاً لانه يشهد من اوله الى آخره ليسوع كلمة الله اي مظهره الكامل الحقيقي

الفصل الثامن

في الكيفية التي انتصرت بها الديانة المسيحية في القرون الاولى

لما بدأ الرب يسوع المسيح يكرز بالانجيل اختار من بين اتباعه اثني عشر رجلاً الذين علمهم الحق ودربهم على التبشير وكان هو الحق فبمجرد وجودهم معه ومعاينتهم اعماله ومعجزاته وسماعهم اقواله وتعاليمه عرفوا الحق بمعنى انهم عرفوا الله في شخص المسيح بانه الآب السماوي القدوس الصالح (يو١٤: ٦—١٠ و١٧: ٣) ودعاهم رسلاً (لو٦: ١٣) لانه كان قاصداً ان يرسلهم الى العالم (قابل سورة الصف آية ١٤) ثم لما اكمل عمله وقام من بين الاموات وكان على وشك الصعود سلم اليهم مأمورية الكرازة ووكل اليهم ان يتلمذوا جميع الامم (مت٢٨: ١٩) ويشهدوا له الى اقصاء الارض (اع ١ : ٨) ولما كان الانسان ضعيفاً ومعرضاً للزلل امرهم ان يمكثوا في اورشليم حتى يرسل اليهم الروح القدس يقويهم ويذكرهم بالحق ويعصمهم من الخطإ في تبليغ

الرسالة ويعد لهم القلوب ووعدهم بانه يرسله بعد ايام قليلة (اع ١ : ٥ ويو ١٤: ١٦ و١٧ و٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ٧—١٥ واع ١: ٤ و٨) وامتثالاً لامره (لو ٢٤: ٤٩ واع ١: ٥) مكثوا في اورشليم منتظرين اتمام الوعد. ففي ختام خمسين يوماً من قيامته اوعشرة ايام من صعوده كانت الرسل مع جماعة من المؤمنين يبلغ عددهم جميعاً مائة وعشرين يصلون ويسبحون الله واذا بصوت كما من هبوب ريح عاصفة ملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كانها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح ان ينطقوا (انظر اع ٢: ١—١٣) ومن ذلك الوقت ملأهم الروح القدس بالمحبة والايمان والغيرة الصالحة والشجاعة الادبية ومعرفة الحق (يو ١٤: ٢٦ و١٦: ١٣) الذي اراد الله ان يعلنه لهم وان يبلغوه للعالم ومما يدل على صدق ارسالهم الى العالم انه وهب لهم ان يتكلموا بألسنة اخرى (اع ٢: ٤) ومن ذلك الوقت لم نسمع ابداً انهم بشروا في بلاد اجنبية بعد درس لغاتها . ان الله تعالى اعطاهم قوة التكلم بالالسن كعلامة على ان روح الله يعينهم على الكرازة باية لغة ايما ذهبوا وان بعضاً من الرسل ان لم نقل كلهم ايدهم الله بالمعجزات الباهرة في شفاء المرضى واقامة الموتى كمعجزات سيدهم

(اع٢:٤٣ و٣:١—١١ و٥:١٢—١٦ و٨:١٧ و٩:٣١—٤٣) الا انهم عملوا هذه المعجزات باسم المسيح وليس بقوتهم ولا تقواهم (اع٣: ٦ و١٦)

وبعد ذلك ببضعة سنوات اهتدى بولس الى الايمان بالمسيح بمعجزة عجيبة (اع ص٨) وبعثه المسيح رسولاً وايده بالمعجزات كفائق الرسل (اع١٤:٨—١٠ و١٩:٦و١١و١٢و٢٠:٩و١٠ و٢٨:٨ و٩) ومما يجب ملاحظته ان المعجزات اعطيت في بداءة الديانة المسيحية الى زمن معين لاجل تأييدها في الغالب الى آخر زمان الرسل ولو كانت استمرت المعجزات كل الزمان الى العصر الحاضر لاصبحت اعتيادية وفقدت ما لها من السلطان في تأييد جماعة الرسل في ما كتبوه من الاسفار المقدسة وما كرزوا به ولذا أيد الله بها المؤسسين الاولين لتثبيت الايمان وتشجيعهم على احتمال عذاب الاضطهاد (عب٢: ٤) ولم نقرأ قط لا عن المسيح ولا عن رسله انهم عملوا المعجزات لاقناع غير المؤمنين وحملهم الى الايمان .

واعلم ان الروح القدس ساعد الرسل في مناداتهم بالانجيل وكتاباتهم وعصمهم من الخطإ وارشدهم الى الحق الذي اراد الله اعلانه للناس فما كرزوا به وما كتبوه ليس كلامهم بل كلام المسيح (مر١٣:

١١ ويو١٤ : ٢٦ وروه١٥:١٨ و١٩ و١كو ١٢:٢ و١٣ و١تس ٢ : ١٣)
فمن قبلهم قبل المسيح و من رفضهم رفض المسيح وعلى ذلك قوله «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي ارسلني» (لو ١٠:١٦) وعليه فجماعة الرسل صادقون في دعواهم بالرسالة من الله (١كو١:١ وغل١:١ و١بط١:١)

ثم ان قوة الله وفاعلية الحياة المقدسة التي عاشها المسيح على الارض ظهرت تمام الظهور بكرازة الرسل وذلك لانه لم يمض وقت طويل حتى ان الوفاً كثيرة من اليهود بل من نفس الكهنة اعتنقوا الديانة المسيحية (اع ٢:٤١ و٤:٤ و٦:٧ و٢١:٢٠) وكذلك آمن من الامم جماهير كثيرة الذين انتقلوا من الظلمة الى النور ومن ملكوت الشيطان الى حرية مجد اولاد الله ومن عبادة الاوثان البكم الى عبادة الله الحي (١تس١:٩)

واعلم ان معجزات العهد الجديد التي اتى بها الرسل لم تذكر فقط في اسفارهم وفي مؤلفات المسيحيين الاولين بل شهد لها اليهود كما جاء في تلمودهم الا ان كتبتهم المتأخرين نسبوا معجزات المسيح الى السحر وكذلك شهد لسرعة انتشار الديانة المسيحية عدد ليس بقليل من كتبة الوثنيين منهم بليني وتاكيتوس وسلسوس والامبراطور

يوليان المرتد وقد اتخذ الاعداء كل وسيلة لمحو آثار المسيحية عن وجه الارض ولكنها بالرغم عن ذلك ثبتت امام الاضطهادات الجهنمية والاستشهادات الوحشية

ينكر بعض اخواننا المسلمين على تلاميذ المسيح لقب الرسول ولكن بانكارهم ذلك يظهرون عدم اطلاعهم على نفس كتابهم الذي يدعوهم (في سورة آل عمران آية ٥٢ والمائدة آية ١١٤ والصف آية ١٤) الحواريين واجمعت العلماء ان هذه الكلمة حبشية الاصل ومعناها رسول وفي نسخة العهد الجديد الحبشية وردت كلمة الحواريين موضع كلمة رسل (انظر لو٦:١٣) وهي مشتقة من كلمة تفيد باللغة العربية معنى ارسل ولذلك لا مسلم حريص على كرامة القرآن يتجاسر أن ينكر كون تلاميذ المسيح رسلاً او كون المسيح لم يصب في تسميتهم بهذا الاسم وان بولس تعين رسولاً ايضاً بعد تعيين الرسل الاولين بمدة وجيزة حينما ظهر له المسيح من السماء وهو مسافر الى دمشق الشام ودعاه اولاً الى الايمان ثم بعثه رسولاً (اع٩:١—٣٠ و٢٢:٢١ ورو١١:١٣ و٢كو١٢:١٢ و١تي٢:٧) وعدا ذلك فان نجاح الرسل في نشر بشرى الخلاص دليل على صحة رسالتهم لانه ظهر ختم الله على اعمالهم .

ومن المعلوم ان الجهاد بالاسلحة الجسدية لنشر الدين قد نهى عنه المسيح وعدّه جرماً عظيماً وعلى ذلك قوله لبطرس حالما جرد سيفه ليدافع عنه «رد سيفك الى مكانه لان كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت٢٦:٥٢) وعدا ذلك فان المسيح يكره الرياء. والجهاد يضطر الانسان الى اعتناق الدين خوفاً من الموت أو الاضطهاد وهذا عين الرياء والنفاق فاذاً لا يقدر السيف ان يصيّر الانسان مسيحياً كما انه ليس بالسيف انتشرت الديانة المسيحية في القرون الاولى حتى في العصر الحاضر الذي رجحت فيه قوة النصارى على العالم اجمع لا تجبر المسيحية رعاياها المسلمين أو الوثنيين على اعتناق ديانتها بالسيف ولا بما هو دونه من وسائل الاجبار بل تتركهم وشأنهم يبتغون الدين الذي يصادف استحسانهم لانهم يعلمون ان الايمان الحقيقي لا يمكن ان يكون بالالزام والضغط وعليه فكل دين يمتد بالاكراه فهو ليس بحق وبالتالي ليس من عند الله. وفضلاً عن كون السيف لم يستخدم قط لصالح المسيحيين فانه استخدم لمقاومتهم واضطهادهم اكثر من اي دين آخر على وجه الارض فان اكثر رسل المسيح استشهدوا في ختام حياتهم بعد ما عانوا اتعاباً وضيقات تفوق الوصف في خدمة الانجيل واوصوا أتباعهم بالصبر في احتمال انواع العذاب حباً بالمسيح وعمل

السيف فيهم وعملت النار بما ادهش مضطهديهم واستمال قلوب اعدائهم فانجذبوا الى المسيح حتى قال كبريانوس ان دماء الشهداء بذار الكنيسة وبات قوله مثلاً مضروباً وليس بالفصاحة والبلاغة جُذِبَ الناس الى الايمان بل بالعكس كانت كرازتهم بسيطة معنى ولفظاً (١كو٢: ١—٥ و١٢ و١٣)

ولما كتبوا البشائر والرسائل التي أطلق عليها الانجيل بالهام الروح القدس لم يستعملوا لغة عالية لا يفهمها الا الراسخون في العلم بل كتبوا ما كتبوه بابسط العبارات مما يستطيع ان يفهمه الجمهور بغير عناء ليحصلوا من اقرب طريق على رحمة الله ونعمته ومحبته وصلاحه وحكمته فتستأثر قلوبهم الى الخلاص. والحق يقال ان كلام الله ينبغي ان يكون من النوع البسيط قريب التناول حتى ينتفع به السواد الاعظم من الناس الذين لا يفهمون الا قليلاً وهم عند الله كساداتنا العلماء لانه ليس عند الله محاباة (مز ١٤٥: ٩) وربما لاجل هذا السبب كتب الفيلسوف العظيم أفلاطون رسائل سقراط بلغة عصره المتداولة حتى يفهمها كل من يطلع عليها

ثم ان الانجيل لا يشجع احداً على اشباع شهواته البهيمية ولا يوهمه انه بمجرد اعترافه بالمسيحية ينجو من عقاب الدنيا والآخرة

مع إصراره على خطاياه (مت ١:٢١ ويو ٨:٣٤ ورو ٦:١ و٢ و١١ و١٥ — ٢٣) ووصف طريق الخلاص بانها ليست واسعة يعبر فيها الانسان وخطاياه معه بل ضيقة لا تسع الا الانسان وحده (مت ٧:١٣ و١٤) وعلم المسيح ورسله جماعة المؤمنين ان ارتكاب الخطية عبودية لابليس وانه مستعد ان يمنح الحرية الحقيقية من نيره الثقيل ومن نير الاهواء الجسدية والشهوات الردية ومن ذلك قول الرسول بطرس «ايها الاحباء اطلب اليكم كغرباء ونزلاء ان تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس» (١ بط٢:١١و١٢)،وان يكونوا جنوداً امناء للمسيح مستعدين ان يقدموا حياتهم وذلك اولى من ان يرجعوا الى عبودية ابليس وعبادة الاصنام.

ولم يشتغل الرسل بين المتمدنين فقط ولا بنوع خاص بل اشتغلوا في كل البلاد المعروفة في عصرهم مثل مصر والشام ومكدونية وايطاليا وغيرها وظهرت نعمة الله للعيان في تحويل الناس الاشرار الى اناس صالحين

ومن العصر الرسولي ابتدأت المجامع المسيحية تنعقد في كثير من المدن الشهيرة مثل سوريا ومصر وآسيا الصغرى واليونان ومكدونيا وايطاليا.ولو ان المسيحية ابتدأت اولاً بين اليهود في ارضهم لكنها لم

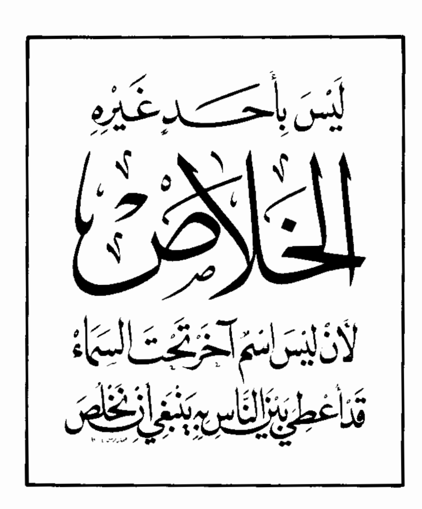
تلبث طويلا حتى انتشرت بين امم الارض كافة. وكان اليهود يسافرون ويتاجرون في جهات الارض المعروفة حينئذ فكان المهتدون منهم يبثون في الحل والترحال بشرى الخلاص. واما اليهود الذين لم يؤمنوا فكانوا اول المقاومين والمعذبين للذين آمنوا ثم نسج على منوالهم بعد ذلك الوثنيون واخذوا يضطهدون المسيحيين بقساوة بربريه. ولكن كما قلنا على الرغم من هذا الاضطهاد تقدمت النصرانية الى اقصى اطراف المسكونة بوسائل صالحة كالكرازة والصبر والمحبة واللطف وفعل الخير. نخشيت امبراطرة (أباطرة) الرومان من سطوة الانجيل على الوثنية التي يدينون بها فاثاروا على المسيحيين اضطهادات عنيفة وابتدأت هذه النكبات في زمن الملك نيرون ويقال انه هو الذي اعدم حياة بطرس وبولس الرسولين واحرق جماهير من النصارى احياء وجعل من ابدانهم مصابيح ومشاعل لانارة بساتين قصره ليلا. وكان الرومانيون في ذلك الوقت بلا دين غير انهم كانوا يتعبدون لملوكهم وسعوا جهد استطاعتهم ان يستميلوا مواطنيهم المسيحيين الى تلك العبادة المحرمة فلم يفلحوا فهجموا عليهم وساقوهم الى قبورهم بميتات شنيعة كسوقهم الى الوحوش في ملاعب رومية واستولوا على املاكهم وتكررت هذه

الكوارث من حين الى آخر في كل انحاء المملكة الرومانية مدة ثلاثة قرون .

وهذه المملكة كانت تمتد من اسكتلندا غرباً الى خليج العجم شرقاً رافعة اعلامها على شمال افريقيا ومصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وتركيا في اوربا وفرنسا والمانيا والنمسا واسبانيا والبرتغال وبريطانيا ومع انها بلغت الى هذا الحد من العظمة وضخامة الملك فما استطاعت بكل سلطانها ان تزعزع اساس الكنيسة المسيحية بل ثبتت امام هجماتها الرهيبة كالجبل الراسي لان ذراع القدير كان يحميها وحقت عليها نبوة المسيح حيث يقول « على هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت١٦ : ١٨) وفضلا عن كونها لم تتزعزع فانها امتدت وازهرت في وسط هذه البلايا الى ان تحولت معابد الاوثان في كثير من الجهات الى كنائس مسيحية ومما تحسن الاشارة اليه هنا هو انه مع كون النصارى غلبوا بصبرهم ولطفهم حتى عظمت طائفتهم لم يقاوموا مضطهديهم ولم يرفعوا في وجوههم سلاحاً لاهجوماً ولا دفاعاً سوى سلاح الصبر والتسليم لله حتى يأتيهم الفرج من لدنه تعالى .

وفي سنة ٣١٤ للميلاد اعتنق الملك قسطنطين الديانة المسيحية ولكنه لم يتعمد الا بعد سنين كثيرة من ذلك التاريخ وحينئذ نجا المسيحيون من الاضطهاد بل علت منزلتهم لدى الهيئة الحاكمة وهذا زين لكثير من الناس ان يتنصروا افواجاً افواجاً بدون توبة ولا تجديد ولا تعليم فادخلوا معهم الى الكنيسة اراء كثيرة وثنية ودب في النصارى روح الاهمال في مطالعة الاسفار المقدسة وانحرفوا الى اكرام القديسين وفترت محبتهم بعضهم لبعض واخذت العبادة المسيحية ان تميز في الطقوس والرسوم الكنائسية وفقدت الكثير من روحانيتها ونقاوتها الاولى وراجت سوق الرياء وكثرت البدع وعوض ان يحب اولئك النصارى بعضهم بعضاً كما اوصاهم الانجيل اخذوا يتجادلون ويتباحثون في المواضيع التافهة حتى سولت لهم نفوسهم ان يضطهدوا بعضهم بعضاً فانحدر جمهور منهم في وهدة الخطية وتعبد آخرون لمريم العذراء والقديسين والتماثيل وهذه الاعمال هيجت عليهم غضب الله حتى انه كما سلط على اليهود لاجل تمردهم وعصيانهم ملوك بابل واشور واليونان والرومان هكذا سلط على النصارى لاجل تأديبهم العرب خصوصاً في بلاد الشرق (رؤ ٩: ٢٠و٢١) اما الآن فكثير من الكنائس

الشرقية استنارت ورفضت عبادة الصور والتماثيل واقبلت تطالع الاسفار المقدسة وتسير بموجبها حسب ارشاد الروح القدس وقامت طائفة منهم تكرز بالانجيل للمسلمين واخيراً نقول ان المسيحيين على اختلاف مذاهبهم يؤمنون بالكتاب المقدس ويعتقدون بالمسيح كلمة الله ويتكلون على كفارته التي قدمها على الصليب لاجل خطايا العالم فليرتض الله اله كل رحمة ان ينير اذهان القراء الكرام حتى يشتركوا معنا في هذا الخلاص المجيد المقدم مجاناً للعالم اجمع بالمسيح يسوع الحي.



المسابقة الثانية
لسلسلة كتاب ميزان الحق

أيها الاخ العزيز

ان درست الجزء الاول والثاني من كتب سلسلة ميزان الحق وفهمت معانيها فقد أدركت جزءا كبيرا من الايمان المسيحي بمقارنته مع الافكار القرآنية.

ونشجعك للتعمق أكثر. فدوّن أفكارك بواسطة الاجوبة على الاسئلة التالية وأرسلها الينا، فنرسل لك الجزء الثالث والاخير من سلسلة ميزان الحق مع مطبوعات قيّمة لتمجيد ربنا يسوع المسيح.

أسئلة الفصل الاول

١ ــ كيف يشهد القرآن على صحة التوراة والانجيل؟

٢ ــ ماذا تتضمن الاصحاحات الحادية عشرة الاولى من التوراة؟

٣ ــ ماذا تروي الاناجيل الاربعة؟

٤ ــ أين تجد الكلمات الجوهرية عن وحدانية الله في العهد القديم والجديد؟

٥ ـ ما هي الوعود المهمة في العهد القديم التي تدل على مجيء المسيح وحياته وخدمته على الارض؟

٦ ـ ما هي الاثباتات القرآنية على أنّ المسيح لم يخطىء قط؟

٧ ـ بأى طرق حدثت عملية الوحي في العهد القديم والجديد ؟

أسئلة الفصل الثاني

١ ـ ما الذى يدل على كيان الله؟

٢ ـ ما هي الاسماء الحسنى التي تجدها في العهد القديم والجديد ، وأين هي مذكورة؟

٣ ـ ما هي الخليقة الجديدة في قلوب الناس؟

أسئلة الفصل الثالث

١ ـ كيف ولماذا خلق الله الانسان ؟

٢ ـ كيف سقط الانسان الى الخطية، والى أى مقدار يكون الانسان الطبيعي خاطئا ؟ هل هو فاسد مطلق ؟

٣ ـ ما هي غاية الله للانسان الخاطىء ؟

٤ ـ ما هي أهم المبادىء في ناموس المسيح ، وما الفرق بين الشعور الطبيعي بناموس الضمير وشريعة موسى ووصايا المسيح؟